

عبد المحسن

شَهِيدُ الْإِسْلَامِ، وَأَسَدُ الصَّحَرَاءِ



محمد محمود اسماعيل

عبدالحجج

شَهِيدُ الْإِسْلَامِ، وَأَسَدُ الصَّحَرَاءِ

مكتبة القرآن

للطباعة والنشر والتوزيع
٤٠ شارع رشدي - عابدين - القاهرة
تليفون ٣٩١٨٦٩١ - فاكس ٤٨٢٠٤٨٠

وكلاء النوزج

السعودية

مكتبة الساعى

الرياض ١ ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة ١ ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥
ص ب ١٠٦٤٩ - ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣

كنوز المعرفة

جدة ت ٤٤١ (٦٥) فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص ب ١٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

دار المعرفة

40 شارع فيكتور هيسكو - الدار البيضاء
ص ب ١٠٤١٥ ☎ 300567 - 309520

المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - ريفتة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643

الإمارات

دار الفضيلة

دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٤٧٦

البحرين

دار احكامه

ص ب ١٠٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢

جميع الهواتف محفوظة للناشر

الإهداء

إلى ابني أحمد
والى كل من يترسمون
طريق المجاهدين الخالدين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أبناءؤنا الأعزاء

نقدم إليكم قصة عمر المختار ، إحدى قصص الكفاح العربى
الخالد ، يظهر فيها الإيمان الصادق ، والوفاء للوطن ، والإخلاص
فى العمل ، والتضحية فى سبيل الحرية .

نقدمها إليكم للعلم بها ، والسير على نهجها ، راجين أن تظل
فى أذهانكم دائماً ، تضىء لكم طريق الحياة .

المؤلف

أنشودة الجنود الإيطاليين !

أنا ذاهب إلى ليبيا فَرِحاً مسروراً ..
لأبذل دمي فى سبيل سحق الأمة الملعونة ، ومحو القرآن !
وإذا مِتَّ يا أماه فلا تبكىنى !
وإذا سألك أحد عن عدم جدّيك فقولى :
لقد مات وهو يحارب الإسلام !

[من الأدب الإيطالى]

(التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبى ج ٤)

مولده ونشأته



مَن للتييم يرعاه ؟

ولد في « البطنان » ببرقة عام ١٨٦٢ م ، من أبوين صالحين ، ووالده السيد مختار ابن عمر ، من قبيلة « المنفة » ، وقد توفى أثناء سفره إلى الحج ، فأوصى أحد رفاقه بولديه عمر ومحمد ، وكانا يقيمان « بنزور » ، يدرسان بزوايتها .

مواهبه الخاصة :

ثم ذهب عمر إلى زاوية « الجغبوب » لإتمام دراسته ، ومكث بها ثمانية أعوام ، وقد ظهرت صفاته الخلقية السامية ، فأحبه شيوخ السنوسية وزعمائها ، وتمتع بعطفهم ، ونال ثقتهم ، ولذلك اصططحبه السيد محمد المهدي السنوسي معه عندما انتقل إلى الكفرة عام ١٨٩٥ م ، وكان محل ثقته ، وتمنى أن يحقق أمله .

الشيخ الجليل :

وفي عام ١٨٩٧ م عينه السيد المهدي شيخاً لزاوية (القصور) بالجليل الأخضر ، وكان يقطن بها قبيلة العبيد ، الذين عرفوا بشدة قوتهم ، وعدم طاعتهم لأحد ، فاخترت لهذه الزاوية ليتعامل معهم باللين تارة ، وبالعنف تارة أخرى ؛ فحقق ما أراده السيد المهدي بإرادته الحازمة .

ثم ذهب مع السيد المهدي عندما انتقل إلى السودان الغربي ، إلى « قرو » ؛ ليسهم في النضال الذي حدث بين السنوسيين والفرنسيين في المناطق الجنوبية ، وحول « واداي » .

المهمة الكبيرة :

ثم عينه السيد المهدي شيخاً لزاوية « عين كلك » ، وقد استمر بالسودان الغربي

وقتاً ضوياً ، وكان نائباً عن السيد المهدي ، يعلم أبناء المسلمين ، وينشر الإسلام في هذه الأماكن البعيدة .

استدعاء :

بعد وفاة السيد المهدي عام ١٩٠٢ م استدعى إلى برقة ، وفي العام التالي عين شيخاً لزاوية القصور ، فبذل جهداً كبيراً في حكم قبيلة العبيد ، وسياسة شئونها ، حتى انقادت له .

وهذه إحدى مواهبه الخاصة ، فقد حصته الأقدار بالحكم بالإرادة الحازمة ، ولذلك استطاع أن يخضع هذه القبيلة العاتية له ، ويجعلها تمضي على نظام ثابت مستقر ، بعد أن حارت فيها السلطات الرسمية ، وذلك لأن روح الرجل روح قوية ، تؤثر سريعاً في كل من رآها ، أو حالطها ، أو عمل معها ، وقد لازمته هذه الروح طول حياته .

شكر وتقدير :

وقد شكرته الحكومة العثمانية على هذا النجاح ، وعلى استقرار الأمور في « القصور » لأن العثمانيين كانوا عازرين عن إخضاعهم لسلطانهم ، فظلوا في « برقة » يلجئون إليه ليساعدهم في جمع الائب

عمر يلبي نداء الجهاد :

وبقي عمر مختار في زاوية القصور إلى أن نشبت الحرب الليبية الإيطالية ، فدعا من أوائل الذين لبوا نداء الجهاد .

وكان عمر المختار وقت نزول الطليان في « بنغازي » عام ١٩١١ م بواحة « جالو » ، فأسرع إلى « القصور » ، وخرج بنجدة عظيمة من العبيد إلى مقر الجيش العثماني في « الرحمة » ، ثم اشتبك مع الطليان في معارك عدة ، فهاجمهم في « بنغازي » ، واستمر على الثقل بين « القصور » و« تكنس » حتى احتل الطليان هذه الأماكن في سبتمبر عام ١٩١٣ م .

وبعد ذلك قاد عمر المختار المجاهدين في معسكرات جبل العبيد ، وعهد إليه السيد إدريس السنوسي بمهمات عدة ، واتخذ منطقة « دفنا » مجالاً لنشاطه الواسع بين القبائل .

وعندما اشترك « السيد أحمد الشريف » في غزو الحدود المصرية العربية ، ووقعت المصادمات بين العرب والإنجليز .. أسهم في هذه العمليات العسكرية ، ثم لازم السيد إدريس السنوسى لتلقى أوامره .
وهكذا أثبت عمر المختار أنه القائد دائماً ، السباق إلى الجهاد دائماً .

توحيد الصفوف ضد إيطاليا :

وفى يونيو عام ١٩٢٢ م كان من أكر الساعين فى تأليف جبهة متحدة تضم البرقاويين والطرابلسيين من أجل النضال ضد إيطاليا . وعندما قرر السيد إدريس السنوسى مغادرة « برقة » عهد بقيادة المجاهدين العليا إلى السيد عمر المختار ، فجعل مقره فى الجبل الأخضر ، وظل فيه حتى استشهد فى الساعة التاسعة من صباح يوم الأربعاء الموافق ١١ من سبتمبر عام ١٩٣١ م ، وذلك عندما نفذ الطليان فيه حكم الإعدام شنقاً .

هذا هو عمر المختار !

ومن هذا يتبين أن الرجل كان يعلم كثيراً من أمور دينه ، وأخذ يعلم الناس كما علمه الله ؛ فكان داعية كبيراً ، يدعو إلى الإسلام بالإقناع والتوجيه اللطيف ، فهو أستاذ فى هذا الفن .
كما يتبين أنه كان مجاهداً مخلصاً ، وقائداً حكيماً ، محباً لوطنه ، مضحياً فى سبيله .
وسنوضح لك هذا فى الفصول التالية فى هذا الكتاب .



إخلاصه وكرم أصله



جهاد حتى الموت !

هناك موقف يدل على أصل هذا الرجل الكريم ، فقد أراد العودة إلى برقة للجهاد ، ولكن مشايخ قبيلته حاولوا منعه عن ذلك ، لكبر سنه ، ولأن الراحة والهدوء لازمان له ، ولأن السنوسية تستطيع أن تحدا قائدا غيره ، فغضب غضباً شديداً ، وقال لمحدثيه : إن ما أسير فيه هو طريق الخير ، ومن يبعدني عنها فهو عدو لي ، ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عنها .

وهذه الكلمات تدل على نفسية عمر المختار ، وأنه كان يريد أن يقاتل ويقاوم حتى يستشهد ، ويلقى الله شهيداً ، وهذه نفسية المؤمن المخلص الصادق ، الذي يخلص لبلاده ، ويصحى في سبيلها لتحقيق أهدافها .

وقد جاء وفد من شيوخ قبيلته ، ضعاف العريمة ، يائسين من الجهاد ، فقابلهم بقلبه الحى المشتعل ، وعرفهم أن الحياة في الجهاد والاستشهاد ، وأن الحياة الساكنة الصائغة هي الموت البطيء .

وقد ظل طوال سنوات الكفاح متمسكاً بقيمه ومبادئه ، ويعمل لما فيه خير الجهاد والمجاهدين برقة ، وكان يؤمن إيماناً قوياً بأن هذا الجهاد فرض يجب أن يؤديه كل إنسان ، وواحب ديبى لا بد منه .



محاربته الفرنسيين



الإمارة الجديدة فى قلب إفريقيا :

ورث السيد محمد المهدي السنوسى الخلافة عن أبيه أربعين عاماً تقريباً . وكانت الدعوة السنوسية تستند إلى دعمتين قويتين فى انتشارها : إحداهما : روحية ، وهى القائمة على اليوعظ والإرشاد ، والعمل بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

والدعامة الثانية : مادية ، وكان أساسها تعلم الرماية ، وإتقان أساليب القتال .

وكان الرجل شديد العزم على إتمام ما بدأه أبوه ، فأكثر من إنشاء الزوايا ، وإرسال الدعاة والمبشرين إلى أواسط أفريقيا ، وبذلك نشرت السنوسية سلطانها الروحى على هذه الأقاليم ، فقويت أركان الإمارة الجديدة فى قلب إفريقيا .

حملة الأطماع الغربية والبعثات التبشيرية ضد السنوسية :

وكان هذا عقبة كبيرة فى طريق الإرساليات المسيحية التبشيرية ، لأنها وجدت فى السنوسيين خصوماً عبيدين ، وأنهم عطلوا أعمالها لدرجة بعيدة .

كما صار هذا يقلق دول الاستعمار الغربية ، خصوصاً بعد أن قويت منافسة بعضها بعضاً من أجل اقتسام الدول الإفريقية .

فبدأت هذه الدول حملة دعاية كاذبة ضد السنوسية ، ووصفوها بكل سوء . ثم شكوا السنوسيين إلى السلطان العثمانى عبد الحميد ، وضغطوا عليه ليستدعى السيد المهدي من إفريقيا ، ولا يعيده إلى وطنه ، ولكنه لم يستجب لهم .

وعندما رأى السيد محمد المهدي أن « الجغبوب » أصبحت موضع أنظار الجميع ، وأن السلامة تقضى بالانتقال إلى مكان أكثر أمناً منها ، قرر الانتقال إلى « الكفرة »

محاولات يائسة وجهود فاشلة !

وقد أخذت هذه الدول تبذل كل جهودها للإفلال من نشاط السيد محمد المهدي ، إما عن طريق الباب العالي ، وإما بالاتصال به مباشرة ، ومحاولة استمالته نحوها ، ولكنها فشلت في ذلك .

بعد ذلك اتهمت هذه الدول السوسية بأنها ترغب في تأسيس ملك قوى ، ينازع دولة الخلافة السيطرة والسلطان على العالم الإسلامي الواسع ، لتقوم فتنة بين المسلمين ، ويقضى على السوسية .

الخطر القادم من فرنسا !

وقد زاد الخطر الفرنسي ، وواصل الفرنسيون زحفهم على الإمارات الإسلامية في إفريقية الغربية وأحس السيد محمد المهدي أن الفرنسيين عزموا على الكيد له ، بعد أن تبسوا انتشار دعوته في مستعمراتهم الإفريقية ، فقرر الانتقال إلى مكان قريب من هذه العمليات الخطيرة ، فانتقل إلى راوية « قرو » في « بورتو » ، وخرج معه ابن أخيه السيد أحمد الشريف وغيره ، وذلك ليكون على مقربة من الصراع الذي كان مشتداً بين قوات فرنسا وبين السوسيين .

عمر في مواجهة فرنسا !

تقدم الفرنسيون ناحية « كاتم » ، واستعد السنوسيون لمقابلتهم ، فوضعوا حامية كبيرة في « بير العلالى » ، وكلف السيد المهدي ابن أخيه السيد أحمد الشريف بإدارة الحرب ضد الفرنسيين ، واشترك في القتال قواد متفوقون من السنوسيين ، وكان من بينهم قائد أصبح له صيت وشهرة عظيمة ، وهو السيد عمر المختار .

وكان الجهاد الحقيقي بين السنوسيين والفرنسيين في « التبستي » ، وأظهر السنوسيون في هذا النضال تحملاً وعزيمة قوية ، واستطاعوا أن يكبدوا الفرنسيين خسائر فادحة .

ولكن الفرنسيين استطاعوا أن يحققوا انتصارات هامة ، بفضل أسلحتهم الحديثة وقواتهم المتدفقة .

ثم خفت حدة الجهاد بعد ذلك ، وأرغم السنوسيون على ترك النضال ضد الفرنسيين في النهاية .

محاربته الإيطاليين



فني مواجهة البوارج القادمة من إيطاليا !

ظهرت بوارج الأسطول الإيطالي في مواجهة « طرابلس » يوم السبت الموافق ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩١١ م فرفضت طرابلس التسليم ، فشرعت البوارج تضرب قلاعها بالقنابل يوم الثلاثاء الموافق ٣ من أكتوبر ، ولكن القلاع سلمت بعد قليل ؛ لأنها كانت قديمة ومجردة من أسباب المقاومة .

ووصلت هذه البوارج إلى مدينة « بنى غازى » يوم الأربعاء الموافق الرابع من أكتوبر عام ١٩١١ م وطلب قائدها من حاميتها التسليم ، فرفضت ، ومن أول الأمر قاوم العرب الإيطاليين مقاومة شديدة ، وهزموهم في مكان يقال له « الصابري » . واشتبك العثمانيون مع الطليان في معركة حامية تعرف باسم « وقعة جوليانة » ، ولكن العثمانيين لم يصمدوا أمام الطليان ؛ لأن سفنهم الحربية استمرت تضرب بنغازي بمدافعها من البحر ، فانسحبت الحكومة ومعها العدد الأكبر من مكان « العزيزية » إلى الضاحية ، ورابطت فيها استعدادا للمقاومة ، فأُنزل قائد البوارج بعض قواته فاستولت على المدينة .

الاستيلاء على سواحل ليبيا :

وقد استطاع الإيطاليون في مدة قصيرة أن يسيطروا على ساحل ليبيا بدون مقاومة ، لعدم وجود قوة بحرية تركية تقاومهم ، أو تقف في طريقهم ، ولعدم وجود قلاع في الموانئ تحميها ، وتصد عنها المعتدين ، لأن الحكم العثماني جردها من جميع وسائل الدفاع ، وتركها خاوية خالية .

مفاجأة أفقدت الإيطاليين صوابهم !

وقد فاجأت قوة من الفدائيين كتيبة إيطالية كانت ترابط في « المنشية » ، ففتكت

بها وأبادتها ، فجُنَّ الإيطاليون ، وأرسلوا قوات كبيرة ، فنكلت بسكانها ، وذبحت ، الشيوخ والأطفال ، وفتحت بطون النساء ، وارتكبوا فظائع ينجل منها الإنسان .

القتال يشتد والموقف يتبدل :

واشتد القتال بين الإيطاليين والليبيين في أنحاء ليبيا ، ووقف المجاهدون من أبناء البلاد أمام الإيطاليين وقفة صامدة ، والزموهم أماكنهم تحت حماية أسطوهم فلا يتعدونها . وقد تبدل الموقف بسرعة ، عندما انتشر في البلاد خبر اعتداءات الطليان على برقة وطرابلس ، ودعا الزعماء السنوسيون في بنغازى وغيرها شيوخ الزوايا للجهاد ، فقد وقع عليهم عبء الدفاع عن البلاد التى نشأت فيها دعوتهم ، وكانت مقر إقامتهم .

قصة كفاح استمرت ثلاثين عاماً !

احتشدت جموع السنوسيين في ميادين القتال الشمالية ، خصوصاً في « برقة » ، وبدأ النضال الذى استمر مدة الثلاثين عاماً التالية ، وتحمل السنوسيون في أثناءه أعظم التضحيات . وكان في مقدمة الذين أسرعوا لنجدة العثمانيين في برقة السيد عمر المختار ، فقد كان - رحمه الله - يزور السيد أحمد الشريف زعيم السنوسية في « الكفرة » ، وفى أثناء رجوعه إلى زاويته « القصور » بلغه نبأ نزول الطليان في « بنغازى » ، واحتلالهم لها ، وفور وصوله إلى « القصور » أمر قبيلة العبيد المنتسبة لهذه الزاوية بالاستعداد للحرب ، ثم تبع السيد عمر المختار شيوخ الزوايا .

واستمر السنوسيون بعد ذلك بقيادته يضيقون الخناق على العدو ، خصوصاً عند « بنينة » .

ومنذ مجيء الطليان إلى ليبيا إلى أن خرجوا منها مهزومين خط السنوسيون قصة كفاحهم بدمائهم ، وأقاموا الدليل على أن الشعوب التى تعتر بعقائدها وتقاليدها وقوميتها لا يمكن فناؤها .

استمراره فى محاربة الإيطاليين رغم تسليم تركيا ليبيا لإيطاليا



العثمانيون والإيطاليون :

دخل العثمانيون فى مفاوضات للصلح مع إيطاليا ، ولم تؤثر رغبة المجاهدين الليبيين فى تعطيلها أو وقفها ، رغم أنهم هم الذين أرغموا إيطاليا صاحبة الأسلحة الحديثة على البقاء بالسواحل ، وعدم الجرأة على التوغل فى الداخل .

وقعت معاهدة الصلح بين تركيا وإيطاليا فى « أوشى لوزان » ، فى ١٨ من أكتوبر عام ١٩١٢ م ، وبذلك توقفت الحرب بينهما ، وسحبت تركيا جنودها من ليبيا ، وأرسل السلطان العثمانى منشوراً إلى سكان طرابلس العرب وبرقة ، ودعاهم فيه إلى الخضوع لإيطاليا ؛ لعجز حكومته عن مساعدتهم .

وأرسل ملك إيطاليا منشوراً يقول فى مقدمته « إنه عملاً بالقانون رقم ٣٨ الصادر فى ٢٥ من نوفمبر عام ١٩١٢ م ، والذى يجعل طرابلس الغرب وبرقة خاضعين خضوعاً تاماً مطلقاً للسيادة الملكية الإيطالية ، ورغبته فى التعجيل بإعادة السلم إلى هاتين المقاطعتين يمنح عفواً عاماً شاملاً للطرابلسيين والبرقاويين الذين اشتركوا فى الحرب » .

دعوة إلى التسليم وعدم المقاومة !

وأرادت تركيا استثارة شعور العرب ، فأرسلت إليهم نائباً عن السلطان اسمه شمس الدين باشا وفور وصوله أعلن ميله إلى إيطاليا ، ودعا العرب إلى التسليم وعدم المقاومة . انقسم الليبيون قسمين : قسم يرى استمرار الحرب ضد إيطاليا ، وقسم يرى مفاوضة إيطاليا ، وذلك بقاء على الاستقلال الذى منحه سلطان تركيا لطرابلس بمقتضى هذه المعاهدة .

لم يضعف استسلام الحكومة العثمانية للمجاهدين الليبيين ، فقد ألقوا الحرب ضد

الطليان ، والانتصار عليهم ، والفوز بالغنائم الوفيرة ، واستقل كل قطر بإدارة حركة الجهاد .

إنشاء دولة مستقلة في طرابلس :

عقد زعماء المجاهدين اجتماعات بعد جلاء الترك ، وأنشؤا دولة مستقلة في طرابلس الغرب ، وتولى رئاستها « الشيخ سليمان الباروني » ، وأبلغ نائب السلطان نبأ الاستقلال ، وقيام الدولة الجديدة .

وبعد قيام الحرب العالمية الأولى قررت الحكومة العثمانية مساعدة السنوسيين ، وهذا جعل ليبيا ميداناً للحرب تشنها على الدول المتحالفة الغربية .

وأراد « أنور باشا » أن يغادر ليبيا ، وقبل مغادرتها زار السيد أحمد الشريف في « الجغبوب » ، وأبلغه أوامر الخليفة العثماني ، وقال له : إن رغباته هي : إسناد أمر الأمة الليبية إلى سيادته ، وإخباره بأن الخليفة قد منح الأمة الطرابلسية استقلالها ، تاركاً لها الحق في أن تقرر مصيرها ، وتدافع عن نفسها .

فكان هذا دعماً نهائياً للإمارة السنوسية المستقلة ، واعتبر السيد أحمد الشريف نفسه مسئولاً أمام الله والناس عن القطر الليبي كله .

وقد وافق السيد أحمد الشريف على تسليم القيادة العامة في برقة إلى عزيز المصرى بك ، فذهب إليه في الجغبوب ليشكره على هذا التنسيق ، وصحبه في هذه الزيارة السيد عمر المختار .

حرب حتى النصر !

لم يتوقف جهاد الليبيين ضد الإيطاليين ، وظل يشرف عليه السيد أحمد الشريف ، ويقود عملياته العسكرية عزيز المصرى بك .

وقد حاول الإيطاليون أن يمنعوا القائد الجديد عن مواصلة الكفاح ، فرفض التسليم ، وقرر الاستمرار في الجهاد إلى النهاية .

عمر المختار يظهر مقدرة فائقة !

وكان من بين المجاهدين معه السيد عمر المختار ، الذى أظهر في هذا الكفاح شجاعة نادرة ، ومقدرة كبيرة على القتال ، إيماناً بحق وطنه في تطهيره من المستعمرين .

تسلمه قيادة المجاهدين



التحام :

استأنف عزيز المصرى العمليات العسكرية فى برقة ، وكان يؤديها بكل جد واهتمام ، وفى نفس الوقت قررت إيطاليا احتلال « الجبل الأخضر » ، والتحم الطليان مع المجاهدين فى معارك متعددة .

وفى ١٦ من مايو عام ١٩١٣ م حصلت فى الجبل الأخضر واقعة يوم الجمعة المشهورة ، وهى الواقعة التى اشترك فيها السيد أحمد الشريف مع القبائل ، وساهم فيها الضباط العثمانيون ، وانهزم الطليان وارتدوا إلى « درنة » ، وبسبب هذا النصر أصبح للسيد أحمد الشريف شهرة واسعة ، واعتقد الليبيون أن قوة إلهية هى وحدها التى أعطته هذا النصر !

صعوبات ونجدة !

ولكن سرعان ما أحاطت الصعوبات الشديدة بالمجاهدين ، وذلك لانقطاع الذخائر والمؤن وغيرهما عنهم ، ولضغط إيطاليا الشديد على تركيا لتأمر باستدعاء قواتها من ليبيا ، ولتكف عن مساعدة المجاهدين ، ولحاولة إيطاليا صرف الحكومة المصرية عن إمداد المجاهدين بما يحتاجون إليه من أسلحة ومؤن ، وكان الشعب المصرى من أسبق الشعوب إلى نجدة المجاهدين ومساعدتهم .

أصابع الاستعمار !

وكانت الحكومة التى فى مصر حينئذ حكومة إنجليزية ، فقامت بأعمال متعددة أدت إلى إضعاف قوة المقاومة ضد الإيطاليين فى ليبيا .

وأذنباه :

وسَّط الإيطاليون الحديوى عباس الثانى لإقناع السنوسيين بضرورة ترك الكفاح ،

وليجزل لهم الوعود الطيبة إذا قبلوا ذلك ، ولكن السيد أحمد الشريف أصرّ على ضرورة جلاء إيطاليا عن ليبيا كلية قبل التفاهم ؛ ففشلت هذه الوساطة .

ثم ساءت العلاقات في معسكر المجاهدين بين القائد العام « عزيز بك المصرى » وبين العرب ، ونتج عن ذلك حوادث يؤلف لها وتطورت المواقف ا

فقد أمرت الحكومة التركية عزيز المصرى بالعودة إلى تركيا ، فأراد الليبيون أخذ الأسلحة التي كانت معه ، فرفض عزيز المصرى ذلك ، وذلك بناء على انعقاد الصلح بين تركيا وإيطاليا ، فلم يقتنع المجاهدون بوجهة نظره ، وأرسل السيد أحمد الشريف السيد عمر المختار لأخذها بالقوة .

وقبل وصول عمر المختار كان المجاهدون قد أطلقوا الرصاص على الجند الأتراك المسلحين ، فصمدوا لهم ثم نشبت معركة حامية بين الطرفين وأسرعت جموع المجاهدين للانتقام من عزيز المصرى وعسكره ، ولكنه استطاع أن يصل سالماً إلى السلوم ثم إلى الإسكندرية ثم إلى الآستانة ا

الخطر يحرق بالبلاد ا

بعد انسحاب عزيز المصرى أصبحت البلاد خالية من وسائل الدفاع ، ومعرضة لهجوم العدو ، ورغم هذه الظروف الصعبة ثبت السنوسيون أمام الإيطاليين ، ثم أسندوا قيادة المجاهدين إلى السيد عمر المختار .

عمر المختار يتولى قيادة الجيش الوطنى ا

لم يتردد هذا البطل المغوار في قبول هذه القيادة ، فشكل جيشاً وطنياً ، وجعل من خطته التزام الدفاع والتربص بالعدو ، حتى إذا خرج الطليان من مراكزهم انقض المجاهدون عليهم ، فأوقعوا بهم شر القتال ، وغنموا منهم ما يحتاجون إليه من أسلحة وعتاد ودواب النقل ، وظل الحال على هذا المنوال حتى نشبت الحرب العالمية الأولى في أغسطس عام ١٩١٤ م .

بقى السنوسيون يديرون دفة الحرب وحدهم ، فوزعوا جنودهم النظاميين في مناطق مختلفة ، حتى يجمعوا حولهم القبائل العربية ضد الإيطاليين الذين كانوا قد فصلوا برقة عن طرابلس ، وأنشئوا لكل من الإقليمين حكومة منفصلة منذ سبتمبر عام ١٩١٣ م .

خطة جديدة !

اتخذ السنوسيون خطة مفاجأة المعسكرات الإيطالية ، وإشعال الثورة في الجهات التي يحتلها الطليان ، فاضطر الطليان إلى تقسيم قواتهم إلى جماعات ، وذلك استعدادا لمقابلة هجوم المجاهدين ، وللإغارة على مراكز العرب في الجهات التي دخلت في حوزة الإيطاليين ، وعلى ذلك اشتبك الإيطاليون مع المجاهدين في جملة معارك بدأت من فبراير عام ١٩١٤ م .

وأمل جديد !

ولكن اشتعال الحرب العالمية الأولى أدخل تغييرا كبيرا على الموقف في بزقة ، وأحيا آمال السنوسيين في القدرة على مواصلة الكفاح بنجاح ضد إيطاليا .



إقامة السيد إدريس السيد عمر المختار مقامه عند سفره إلى القاهرة



مآرب وأطماع !

في الحرب العالمية الأولى أسرع تركيا بالدخول إلى جانب ألمانيا ، وانحازت إيطاليا إلى الدول المتحالفة في مارس عام ١٩١٥ م ، وذلك لتحقيق مطامعها في إفريقية الشمالية ، وهكذا وجد الأتراك أنفسهم في نزاع جديد مع إيطاليا ، وعندئذ قرروا استئناف النضال في الأقطار الليبية .

وقد دفع الأتراك إلى ذلك رغبتهم في اتخاذ برقة ميداناً لإرسال جيش لغزو مصر ، ولاتفاقهم مع الألمان على غزو مصر من حدودها الغربية ، وذلك لتسهيل تنفيذ مآربهم . وحضرت رسل تركيا وألمانيا إلى ليبيا ، وقابلت السيد أحمد الشريف ، وطلبت منه أن يشترك معهم في الهجوم على حدود مصر الغربية .

الزحف على حدود مصر !

ولم يكن من رأى أحد في ليبيا مهادنة إيطاليا ، ومحاربة إنجلترا التي كانت علاقتها مع ليبيا على أحسن حال ، وبعد تردد طويل قرر « السيد أحمد الشريف » الاشتراك مع العثمانيين والألمان في الزحف على حدود مصر الغربية ، فأرسل قوة واحتلت « سيوة » ، وسار هو نفسه بالجيش للهجوم على « السلوم » ، وكان معه قائدان تركيان ، فتقهقر الإنجليز داخل الحدود ، وتقدم القائد العثماني « نوري » بالجيش ، حتى وصل إلى غرى مرسى مطروح .

حرب العصابات !

عندئذ جهز الإنجليز جيشاً لقتالهم ، فقامت المعارك بين الفريقين ، وساهم فيها محمد صالح حرب قومندان مرسى مطروح بنصيب وافر ، وأدار حرب العصابات ضد الإنجليز ، فاضطروا إلى وضع خطة عسكرية للقضاء عليها نهائياً .

الجماعة تهدد برقة !

فشل المجاهدون تحت زعامة السيد أحمد الشريف على أيدي الإنجليز ، وأصبحت

برقة تعاني كثيراً من انتشار المجاعة بها عام ١٩١٥ م ، وقد هددت هذه المجاعة البلاد بالفناء العاجل .

تنازل السيد أحمد الشريف عن الزعامة إلى السيد إدريس السنوسي ، ووافق على أن يبدأ المفاوضات مع الإنجليز لإنقاذ البلاد مما هي فيه .

التفاوض مع الإنجليز والإيطاليين !

اشتراط الإنجليز ضرورة اتفاق الليبيين مع الطليان قبل اتفاهم معهم ، وقد قبل السنوسيون ذلك لظروف البلاد القاسية ، وحدث اتفاق مبدئى بين السنوسيين والطليان ، وبينهم وبين الإنجليز ، ويسمى هذا الاتفاق بمعاهدة « الزويتينة » .

قصد السيد « محمد إدريس » من هذا الاتفاق تحسين الأحوال الاقتصادية للبلاد ، والمحافظة على أنظمة الشرع الحنيف ، وعلى الثقافة العربية ، ونشر الأمن والسلام فى برقة ، واستراحة الأهلىن .

اقتضت مصلحة البلاد لإنشاء الحكومة الوطنية المنظمة ، والتى يسيطر على شئونها السيد إدريس ، وقد استطاع بحكمته أن يقر السلام فى القطر البرقاوى ، ولقبه الأهلون بالمنقذ ، بينما كانت الأحوال فى طرابلس على عكس ذلك .

انسحاب وإنشاء جمهورية مستقلة !

انسحب الأتراك نهائياً من طرابلس فى ختام الحرب العالمية الأولى ، واتفقت كلمة زعمائها وقادتها على إعلان استقلالها ، وعلى إنشاء جمهورية مستقلة لها ، على أن يتولى إدارتها مجموعة مختارة من الزعماء ، واتخاذ « غريان » عاصمة لها .

وساطات ودسائس !

بدأت الوساطات للتوفيق بين إيطاليا والطرابلسيين ، ولكنها فشلت ، واستؤنف القتال بينهما ، ثم اتفقوا على منح طرابلس استقلالاً داخلياً إدارياً ، ووقعوا دستوراً للحكومة الجديدة ، وقد نصّ فيه على أن إيطاليا تعين الحاكم العام لطرابلس .

دأب الإيطاليون على دس الدسائس للقضاء على الروح الوطنية فى البلاد ، وحكمها حكماً استعمارياً ، فعقد الطرابلسيون مؤتمراً فى « غريان » ، وقرروا إرسال وفد إلى روما لمفاوضة رجالها فى الحالة ، كما قرروا إرسال وفد إلى السيد إدريس السنوسى للتفاهم معه بشأن توحيد حركة الجهاد فى القطرين .

وضع ميثاق وطنى !

تقابل الوفد الذى انتدبه حكومة « غريان » مع وفد سنوسى فى « سرت » ، واتفق الوفدان على وضع ميثاق وطنى ، وتعهد القطران باحترامه وتنفيذ أحكامه ، وتعاونهما فى السراء والضراء فى مقاومة العدو مغتصب البلاد ، فيجب أن يكون عدوهما واحداً وصديقهما واحداً . فرأوا أن مصلحة الوطن تقضى بتوحيد الزعامة فى البلاد . وقد رحب الليبيون بهذا الميثاق ، واعتبروه خطوة فى سبيل جمع الكلمة لمقاومة الاحتلال الإيطالى الظالم .

اتحاد وبيعة جديدة !

وقد انتدب وفد من طرابلس للسفر إلى « جدايبا » ، وحمل معه كتاببيعة مؤتمر « غريان » للسيد إدريس السنوسى ، واختياره أميراً محبوباً للقطرين ، قطر طرابلس وقطر برقة ، وبذلك أصبح الأمير أميراً للقطرين اللذين اتحدا للمرة الأولى بعد انسحاب الترك . كبر على روما أن يتحد القطران ، وأن يتفقا علىبيعة السيد إدريس ، فطلب الإيطاليون منه عدم قبولبيعة الطرابلسيين ، ورفض كل تعاون معهم ، فاعتذر بأن هذا ليس فى استطاعته ، فزاد حقدهم عليه ، ورغبتهم فى التخلص منه .

محاولة للتخلص من السيد إدريس السنوسى :

وأرادت إيطاليا التخلص من السيد إدريس السنوسى لتنفيذ سياسة موسولينى ، وكانت تهدف إلى تحويل ليبيا إلى وطن إيطالى ، والقضاء على كل أثر للعرب فيه . وطلب الإيطاليون من السيد إدريس جمع السلاح من أيدي العرب ، فرد عليهم بأن هذا مستحيل ، لأن العربى يفضل سلاحه على روجه .

ثم بدأت المناوشات بين الطرفين ، ورأى السيد إدريس الذى كانت صحته تزداد سوءاً أنه فى حاجة إلى التداوى ، فغادر مقره فى الجبل الأخضر سراً ، وذهب إلى القاهرة فى سنة ١٩٢٢ م للاستشفاء ، ولطلب المساعدة من مصر .

عمر المختار ينوب عن السنوسى !

وأقام السيد إدريس السنوسى عند سفره إلى القاهرة السيد عمر المختار مقامه ، وكان من أكبر شيوخ الطريقة السنوسية ، وعظماؤها البارزين ، فباشر الشئون السياسية والعسكرية ، كما أقام السيد إدريس السنوسى شقيقه السيد الرضا نائباً عنه فى الأمور الدينية والعائلية ..

تعيين عمر المختار قائداً أعلى



عمر المختار يتولى الأعمال السياسية والعسكرية !

نظم الأمير السيد إدريس السنوسي خطة الجهاد في كل من برقة وطرابلس قبل ارتحاله عن البلاد ، وعهد بالأعمال السياسية والعسكرية في « برقة » إلى عمر المختار نائباً عنه ، على أن يتولى قيادة معسكرات المجاهدين جميعاً ، وأعطى الأوامر اللازمة لاستمرار الجهاد على أحسن حال .

وتوقف الجهاد في طرابلس ، وانتهت ثورتها فعلاً ، واستتب الأمر للطلليان فيها ، وأصبحت برقة تحمل عبء الجهاد وحدها ، فوقع العبء كله على السيد عمر المختار .

صعوبات !

وقابلت عمر المختار صعوبات كثيرة ، وأولها أن والى برقة الجديد بدأ يحل المعسكرات التي فيها بالقوة ، فحل كثيراً منها .

غارات على عاصمة الإمارة !

وبعد سفر الأمير إلى مصر شن الإيطاليون غارة عسكرية على « جداليا » ، وكانت عاصمة الإمارة السنوسية ، فاستولوا عليها بلا مقاومة ، وذلك لعدم إمكان الدفاع عنها . وأعلن الوالى الجديد أن كل الاتفاقات التي عقدتها إيطاليا مع السنوسيين أصبحت لاغية ، وأن السنوسية أصبحت مجرد طريقة تشبه غيرها من الطرق الإسلامية ، وأن نشاطها يجب أن يظل دينياً محدوداً فقط .

وتحركات !

وقابل الوزير الإيطالى الأمير السيد إدريس في مصر ، وأبلغه أن الاتفاقات التي عقدتها إيطاليا مع سموه أصبحت لاغية ، ومن ذلك الوقت بدأ النضال شديداً في برقة بين المجاهدين والطلليان .

بعد استيلاء الإيطاليين على « جلدابيا » انسحب المجاهدون إلى الجنوب ، وانضم إليهم المغاربة ، ورابطوا حول زاوية « القطوف » واتخذوها قاعدة لمناوشة الإيطاليين ، وإغلاق راحتهم وشرعوا يوسعون دائرة عملياتهم حتى تشمل منطقة « الجبل الأخضر » بأكملها ، وذلك بقيادة السيد عمر المختار ، فلم ير الطليان بدأ من محاربتهم .

حملة كبيرة !

أعد الإيطاليون حملة كبيرة هاجمت الزاوية ، فدارت معركة عنيفة بين الفريقين في « البريقة » وكانت بقيادة « الشيخ صالح الأطبوش » ، و« الشيخ الفضيل المهبش » ، وصمد المجاهدون لهذا الجيش الكبير ، وانتهت المعركة بانكسار الإيطاليين ورجوعهم ، وكان الفضل في هذه المعركة للمغاربة ، فقد أظهروا من الشجاعة ما يفخر به التاريخ .

خطة جديدة من ثلاث نقاط !

بعد هذه المعركة وصل السيد عمر المختار إلى الزاوية ، ودرس الموقف مع القادة ، فاتفقوا على تنفيذ الخطة الآتية :
أن يأخذ السيد عمر المختار نفراً من المجاهدين ، ويذهب بهم إلى الجبل الأخضر ، ويتخذة قاعدة عسكرية ، وينشئ فيه مراكز لتدريب المتطوعين ، وقد نفذ السيد عمر المختار هذا ، وتوافد عليه الناس من كل ناحية .

نظم السيد عمر المختار معسكره ، وعين لكل قبيلة رئيساً منها ، واتفق الرؤساء على أن يكون السيد عمر قائداً عاماً ، ورئيساً على كل المجاهدين ، كما اتفقوا على الجهاد حتى آخر نفس في حياتهم ، أو تخلص وطنهم من العدو .
وقد ابتدأت هذه الحركة صغيرة ، ثم بلغت أشدها في أقصر زمن ممكن ، فوجد الإيطاليون أنفسهم أمام جيش يهاجم حصونهم الخلفية ، ويفزو معقلهم ، فأخذوا يفكرون في ما يحفظهم من هذا الخطر .

يرابط الشيخ صالح الأطبوش في « البريقة » ، ويتخذها قاعدة لمقاومة الإيطاليين .
تؤسس ثلاثة مراكز عسكرية : أمام « درنة » وفي « شماسا » داخل الجبل الأخضر ، وفي « الحرجة » .

انتصار !

تواصل القتال بين المجاهدين وبين الإيطاليين ، وكانت معركة « الرحبية » ومعركة « عقدة المطمورة » من أعظمها ، وانتهت كلها بارتداد الإيطاليين ، مما رفع منزلة السيد عمر المختار ، فالتفوا حوله ، وتعاهدوا على مناصرته .

لقاء في مصر !

بعد استئناف القتال على نطاق واسع قرر السيد عمر المختار الذهاب إلى مصر ، لمقابلة الأمير ، لإطلاعه على ما وقع من حوادث ، ويتلقى تعليماته المفصلة بصدد الجهاد ، فاستطاع اجتياز الدولة في منتصف عام ١٩٢٣ م ، وتمكن من مقابلة السيد إدريس بمصر الجديدة ، ووجد كل إعزاز وتكريم .



استئناف المعارك ضد الإيطاليين



عودة !

عاد عمر المختار من مصر إلى برقة عن طريق « السلوم » وكان مزوداً بتعليمات الأمير السيد إدريس لمواصلة الجهاد ، وكانت الخطة المتفق عليها هي إنشاء المعسكرات واختيار الرؤساء الصالحين لها ، وكانت مهمة السيد عمر المختار هي رئاسة هذه العمليات كلها ، أما مهمة الأمير فهي البقاء في مصر لإمداد المجاهدين بالمساعدات .

الجانوسية تتحرك !

أبلغ جواسيس الطليان رؤساءهم بأن عمر المختار اجتاز الحدود الشرقية ، فأعدوا كميناً لعمر المختار ورفاقه ، وكان مكوناً من ثلاث سيارات ، وكان الهدف القبض على عمر المختار وأسرره .

محاولة فاشلة !

وبمجرد أن ظهر عمر المختار ورفاقه أطلق العدو عليهم مدافعهم الرشاشة ، ولكن المجاهدين صمدوا لهم ، وأصابوا عجلات السيارات ، وانقضوا على القوة الإيطالية فأفنؤهم عن آخرهم .

ألقت هذه الهزيمة الساحقة الرعب في قلوب الطليان ، واستطاع عمر المختار ورفاقه أن يتابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى الجبل الأخضر ، ولم يجرؤ أحد من الطليان على تعقبهم مرة أخرى .

بداية النضال :

وبدأ النضال في عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ بوقوع معارك عدة ، ووسع المجاهدون

دائرة نشاطهم العسكري في الجبل الأخضر ، وعلى ذلك خف ضغط الطليان على إخوانهم في معسكرات « البرقين » .

عمر المختار يتألق :

لمع اسم عمر المختار ، وسطح نجمه كقائد بارع يتقن أساليب الكر والفر ، ويتمتع بنفوذ عظيم ، وأخذ العرب من أهل القبائل الساكنة في الجبل ينضمون إلى صفوف المحاربين ، وفضلاً عن ذلك فقد بادر الأهليون من غير المحاربين بإمداد إخوانهم بما يحتاجونه من مجندات ومؤن وأسلحة .

عقبات في وجه الإيطاليين ومحاولات شريرة !

ولم يكن في استطاعة الطليان في هذه المرحلة من الجهاد أن يقوموا بنشاط حربي ملحوظ في منطقة الجبل الأخضر ، فقصروا جهودهم على تدبير احتلال المركز السنوسي العتيد في واحة الجغبوب ، لأنها ظلت تمتد المجاهدين بما يحتاجونه من معدات ومؤن وذخائر .

كانت الجغبوب من الأراضي المصرية ، ويعتبر القيام بأية عمليات عسكرية ضدها اعتداءً صريحاً على حكومة مصر ، وهي دولة صديقة لإيطاليا .

عمد الطليان إلى تذليل هذه العقبة ، وأخذوا يبذلون نشاطاً كبيراً في لندن والقاهرة معاً ، وكان هدفه عرض مسألة الحدود المصرية البرقاوية على بساط البحث ، وكانت نتيجة مساعيهم إبرام اتفاق « الجغبوب » بين إيطاليا ومصر بالقاهرة في ٦ من ديسمبر عام ١٩٢٥ م .

وبفضل هذا الاتفاق أدخلت « الجغبوب » ضمن الحدود البرقاوية ، وبدأ الطليان بعد ذلك مباشرة يتخذون العدة لاحتلالها .

سقوط الجغبوب وأثره على المناضلين الشرفاء :

وقد أعدوا حملة عسكرية لاحتلالها ، ولكنهم دخلوها بدون مقاومة ، وذلك لأن أهلها كانوا قد رحلوا عنها ، فاحتلوها في ٨ من فبراير عام ١٩٢٦ م .
ويعد سقوط جغبوب مصيبة جديدة ، فقد أضيفت إلى المتاعب التي استقبلها عمر المختار عندما حمل عبء الجهاد كاملاً على عاتقه .

بذور الشقاق بين المجاهدين :

ولجأ الطليان إلى محاولة نذر بذور الشقاق بين المجاهدين ليضعفوا من قوتهم فلم يفلحوا ، وُحِيلَ إليهم أنهم يستطيعون شراء عمر المختار ، فعرضوا عليه عروضاً سخية ، وحاولوا أن يكافئوه بمبالغ كبيرة من المال ، أو أن يعدوه بالجاه العريض في ظل حياة رغدة ناعمة فلم يفلحوا ، وهذا يدل على أن الرجل كان صاحب فكرة ومبدأ ، لا يفرط في فكرته ولو عرضت عليه الدنيا ثمناً لذلك .

تدابير حكيمة !

وكان عمر المختار يتخذ مقر قيادته في منطقة « شحات » ، واتخذ التدابير التي تمنع عرقلة حركات المجاهدين ، فأبعد الأسر بمواشيها عن منطقة القتال ، وزوّد جنوده بعدد عظيم من قرب الماء ، وأخذ هؤلاء يستعدون للالتحام مع الطليان في معارك فاصلة .

اشتباك ومحاولات للإيطاليين



وسرعان ما اشتبك المجاهدون مع الطليان في معارك دامية في يوليو عام ١٩٢٧ م ، وأصيب الطليان بخسارة فادحة ، ثم تغلب الطليان في النهاية ، بسبب ما كان عندهم من قوات كبيرة تساعدها الطائرات والسيارات المصفحة ؛ فاستطاعوا أن يضيقوا الحصار على المجاهدين .

وأعد الطليان خططهم للاستيلاء على « الفزان » ، واحتلال عاصمتها ، فخرجت في أواخر يناير عام ١٩٢٨ م قوتان : إحداهما من « غدامس » ، والأخرى من « الجبل الأخضر » ، وكان الجيش بقيادة « جرازياي » ، والتحم المجاهدون معه في معركة دامية استمرت خمسة أيام بتماها ، وقد انهزم الطليان فيها شر هزيمة ؛ فتقهقروا تاركين ما عندهم من مؤن وذخائر .

ثم ما لبث أن خرجت قوة أخرى تقصد « الفزان » مباشرة ، فعلم المجاهدون بأمرها بعد خروجها بثلاثة أيام ، واستحبوا إلى الداخل ، حتى إذا وصل هذا الجيش

إلى مكان يقع بين جبلين يعرفان بالجمال السود انقص عليه المجاهدون ، وأرغموه على التقهقر ، فعمد قواد الحملة إلى الفرار بسياراتهم ، ووقع أكثر الجيش الذى كان معهم فى قبضة المجاهدين ؛ فأفوههم عن آخرهم .

وعندئذ لم يجد الطليان مفرا من أن يحددوا محاولاتهم ، فخرحت فى هذه المرة قوات عظيمة من جهات متعددة ، غير أن الطليان ما لبثوا أن انهزموا فى هذه المعارك ، وتركوا وراءهم غنائم كثيرة .

ولكن الطليان استطاعوا بفضل احتلال الجغبوب وغيرها أن يقطعوا كل السبل بين المجاهدين فى الجبل الأخضر وبرقة وبين مصر من الناحية الشرقية ، وبين مصر وبين مراكز السنوسية الباقية فى الجنوب فى فزان والكفرة ، وبذلك وضعوا عمر المختار والمجاهدين فى عزلة تامة فى الشمال .

عمر المختار يقاتل حتى النصر !

ولكن عمر المختار لم يضعف ، ولم ييأس ، ولم تؤثر الأحداث فيه شيئا ، وابتسم ابتسامة الواصل بربه ، المؤمن برسالته ، وقرر الجهاد مهما كانت الظروف والنتائج . وفى خلال هذه الظروف الصعبة ظل عمر المختار يشن الغارات المتوالية على « درنة » وما حوّلها ، حتى أرغم الطليان على الخروج بجيوشهم لمقابلته فى ٢٢ من أبريل ، فاشتبك معهم فى معركة عنيفة ، استمرت يومين وكان النصر فيها حليفه ، ففر الطليان تاركين عدداً من السيارات والمدافع وصناديق الذخيرة ودواب النقل .

إبادة لقوة إيطالية !

وفى يونيو استطاعت قافلة أن تخرج من السلوم محملة بمختلف العتاد والمؤن قاصدة الجبل الأخضر ، لإمداد عمر المختار ، فعلم الطليان غرضها ، وأرسلوا سياراتهم المسلحة لتعقبها ، ولكن المجاهدين صمدوا لهم ، وأطلقوا الرصاص على عجلات السيارات فتعطلت ، فانقض العرب على القوة الإيطالية فأفوها عن آخرها ، وأحرقوا السيارات .

خسائر الإيطاليين تتوالى !

وفى سبتمبر عزب جموع الزاوية « الحجزة ومرسى بريقة وجالو وأوجلة » ، وأنزلوا بالطليان خسائر جسيمة فدلّت هذه الأعمال على أن الثورة مازالت مشتعلة فى الجهة الغربية ، من « سرت » شمالاً إلى « الفزان » جنوباً ، وإلى « جالو » شرقاً ، فضلاً عن

اشتداد مقاومة المجاهدين في الجبل الأخضر ، وذلك كله على الرغم من احتلال الطليان للوحدات ومراكز السنوسية الهامة .

إعادة الطليان النظر في خططهم :

وأصبح لابد من أن يعيد الطليان النظر في خططهم ، مما أدى إلى وقوع أزمة كبيرة في روما ، وأعلن موسوليني توحيد الإدارة في القطرين الليبيين ، وعين المارشال « بادوليو » حاكماً على طرابلس وبرقة . ويحدد مجيء « بادوليو » إلى ليبيا بداية مرحلة النضال الحاسمة في برقة والجبل الأخضر .

هذا هو عمر المختار !

هذا هو عمر المختار على حقيقته ، الذى بَدَّد بحفنة من الرجال جيوش الإمبراطورية الإيطالية ، وجعلها تفر هاربة تاركة عتادها ومؤونها ، ولو لم يكن الرجل من معدن نفيس لما كان بهذه القوة المدمرة .

لقد كان كل ما حوله ينذر بهزيمة ، ويقيم الدليل على أن المعركة غير متكافئة ، وأن النتيجة سوف تكون استيلاء إيطاليا في النهاية على ليبيا بأكملها .. فما فائدة القتال والنضال ؟

كان هذا هو منطق الحوادث ، وهو منطق العقول والأوهام دائماً ، ولكنه ليس بمنطق الأبطال الراغبين في الشهادة ، والذين يقاتلون مهما كانت النتائج ؛ لأنهم يؤمنون بشيء واحد ، هو أن يموتوا شهداء ، وذلك هو مصدر القوة العجيبة التى تنفجر من قلوب الشهداء .



مفاوضاته مع الإيطاليين



موسوليني يتدخل !

حضر بادوليو إلى ليبيا حاكماً عليها في يناير عام ١٩٢٩ م ، وقد أمره موسوليني بالقضاء على المقاومة ، ويرى إيطاليا من مشكلة لا تزال تشغل بالها .

برنامج جديد للاحتلال الإيطالي :

وكان برنامجه الجديد يتلخص في تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي لحرب العصابات ، وللمحافظة على هيئة الحكومة فقط ، وإنفاق الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر ليسهل عليه التنقلات العسكرية ، فإذا ما تم له ذلك قام بهجوم كاسح على المجاهدين يقضى على المقاومة نهائياً .

وافتح بادوليو عهده بإعلان عفو جزئى عن بعض المحكومين السياسيين ، ثم أذاع منشوراً في كل البلاد دعا فيه المجاهدين إلى الاستسلام والخضوع ؛ وأنذر المتخلفين بالعقاب الشديد !.

وخطا خطوة ثانية ، فأوعز إلى متصرف المرج الإيطالي بأن يتصل بالسيد عمر المختار ، وأمره أن يختبره ويباحثه في عقد اتفاق ينهى الخلاف ويرجى الأمة .

عشرة شروط :-

وقد اشترط السيد عمر المختار عشرة شروط يتفق فيها على ما يلى :
أن يحضر مندوب من طرف الحكومة المصرية ومندوب من طرف الحكومة التونسية ليشهدا شروط الاتفاق ، ويكون ناقض العهد منا مسئولاً أمام العالم بشهادتهما .
لا تتدخل الحكومة الإيطالية في أمور ديننا ، كما أن لنا الحق في تأديب كل من يخرج عن الدين ، أو يهزأ بتعاليمه ، أو يتهاون في القيام بواجباته .
أن تكون اللغة العربية معترفاً بها رسمياً في دوائر الحكومة الإيطالية .

أن يكون الموظفون من الوطنيين والإيطاليين .
أن تفتح مدارس خاصة يدرس فيها التوحيد والتفسير والحديث والفقه وسائر علوم الدين .

أن تفتح مدارس لتعليم اللغة العربية واللغة الإيطالية على السواء ، وألا يحرم الوطنيون من التعليم العالي ، ويلغى القانون الذى وضعتموه عام ١٩٢٣ م والذى ينص على منع الوطنيين من دخول المدارس العالية كما يلغى القانون الذى وضعتموه فى السنة نفسها بعدم المساواة فى الحقوق بين الوطنى والإيطالى إلا إذا تجنس بالجنسية الإيطالية .
أن تكون إدارة الأوقاف تحت تصرف هيئة مسلمة ، بإشراف رئيس مسلم ، ويكون لها نظار مسلمون .

أن ترجع الحكومة جميع الأملاك التى اغتصبتها من الأهالى .
أن يكون للأمة رئيس منها ، تختاره بنفسها ، ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار الدولة ، له حق الإشراف على مصالحها ، كما يكون للقاضى القول الفصل بين الوطنيين .
أن تكون أحراراً فى حمل السلاح على اختلاف أنواعه ، كما يكون لنا الحق فى جلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة الإيطالية من بيعه لنا .

مكر وخديعة :

وقبل سيشلياني وكيل الوالى بادوليو هذه الشروط ، ووعده بأن يعرضها عليه ، وبأن يوافق السيد عمر بما يتم فى أقرب وقت ممكن ، وقد تعددت الاجتماعات بينه وبين الإيطاليين ولكن بدون نتيجة .

ثم حضر بادوليو واجتمع مع السيد عمر فى « سيدى رحومة » ، ووعده بأنه سيحضر مندوب الدول ، وسيتم الإتفاق على ما ذكره السيد عمر المختار ، وتسلم هذه الشروط .

وبعد رجوع بادوليو إلى بنغازى أشاع أنه تم الصلح بينه وبين عمر المختار ، وسحب الجنود من أرض القتال ، ولم يعلن شيئاً عن الشروط التى اتفقوا عليها .
مكث المجاهدون ينتظرون رجوع بادوليو إليهم مدة شهر فلم يرجع ؛ فأرسل السيد عمر إلى « سيشلياني » فى بنغازى يذكره بوعده بادوليو ، وبستحثه فى تعجيل الأمر ، فاتفقوا على أن يجتمعوا فى سيدى « رويق » .

وفى هذا الاجتماع قال « سيشلياني » للسيد عمر : إن هذا الإتفاق لا يتم إلا فى

بنغازى ، فلم يمانع فى ذلك ، وأرسل معه الحسن بن الرضا السنوسى لينوب عنه فى إمضاء الصلح حسب الشروط التى أُنفق عليها .

مكث الحسن فى بنغازى ١٥ يوماً ، وأحاط به الإيطاليون وسماسرتهم ، وبذلوا من الوعود والأمانى المعسولة ما بذلوه لأبيه من قبل ، فآختر بوعودهم ، وخرج من بنغازى يحمل تعاليم سيشليانى ، وجاء إلى السيد عمر يحمل شروطاً غير التى اتفقوا عليها ، ولم يذكروا من شروط السيد عمر شرطاً واحداً . وهذه الشروط هى :

- ١ - تعتبر الحكومة الإيطالية عساكر عمر المختار دورية وطنية .
- ٢ - تقيم عساكر عمر المختار بنقطة « جردس » العبيد .
- ٣ - تعترف الحكومة برتب الضباط ، وتصرف شهرات لهم ولعساكرهم .
- ٤ - يكون جميع ضباط وعساكر عمر المختار تحت أمر ضابط إيطالى
- ٥ - يكون للحكومة الإيطالية الحق فى نقل عساكر عمر المختار لأى جهة شاءت .

٦ - يكون للحكومة الحق فى تغيير السلاح الذى بايدى عساكر عمر المختار ، بأى سلاح شاءت .

- ٧ - يكون للحكومة الحق فى تسريح بعض عساكر عمر المختار إذا رأت ذلك .
- ٨ - يكون للحكومة الحق فى معاقبة من ارتكب جريمة قبل هذا الصلح من عساكر عمر المختار ، وليس لعمر المختار حق الاعتراض على ذلك .
- ٩ - يكون للحكومة الحق فى رفض الضباط الذين لا يعرفون اللغة الإيطالية .
- ١٠ - تتولى الحكومة أمر العرب الذين تحت سيطرة عمر المختار الآن ، على ألا تكون لعمر المختار أى سيطرة عليهم .

١١ - تتعهد الحكومة الإيطالية للسيد حسن السنوسى بمعاش قدره خمسون ألف فرنك فى الشهر ، وتبنى له قصرأ فخماً فى مدينة بنغازى .

١٢ - تتعهد الحكومة الإيطالية لعمر المختار بمعاش قدره خمسون ألف فرنك فى الشهر ، وتصلح له « زاوية القصور » ، وتبنى له فيها مسجداً ومثدنة وبيتاً يليق بمقامه ، وتأتى له بمعلمين يعلمون الأولاد ، ولا تمنع الأهالى من الاتصال به .

رفض ما أتى به الحسن !

ولما اطلع السيد عمر على هذه الشروط قال للحسن : « غرولت يابنى بمتاع الدنيا

الفانى ، ورضيت بهذه الشروط المزرية » .. فقال الحسن : « قد اتفقت مع الحكومة على هذه الشروط ، ولا يمكننى نقضها » .

عمر يفضل الموت جوعاً :

عندئذ جمع السيد عمر المجاهدين ومشايخ العرب ، وتلا عليهم هذه الشروط التى أتى بها الحسن ، وقال لهم : « إلى لا أرضى بهذه الشروط ، وأفضل الموت جوعاً وعطشاً ولا ألقى بنفسى وإخوانى بين أيدي الإيطاليين يتصرفون فىنا كيف شاءوا » ، وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم إن كانوا راضين بها أو غير راضين ، فقالوا : « لا نرضى بشرط من هذه الشروط » .

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق :

فقال الحسن : « لابد من قبولها » .. فقال له الشيخ الشريف القاسم العبيدى : « إنك لست خالقاً ، بل أنت مخلوق مثلنا ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . فعند ذلك قام الحسن السنوسى مغضباً وقال : « ليقم معى كل من يريد أن يتبعنى » فقام معه ما يقارب ثلثائة رجل ، ونزلوا على بحر على مسافة ساعتين من النقطة الإيطالية بمراوة ، وعين معه الطليان ميلاكرى ، ومن هذا الوقت انقطعت العلاقة بين السيد عمر والحسن بن الرضا .

فأرسل السيد عمر إلى « سيشليانى » وكيل الوالى « بينغازى » يطلب منه التوقيع على الشروط التى اتفقوا عليها فلم يرد عليه ، فكتب إليه ثانية فلم يرد بشئ ، وبقي السيد عمر فى انتظار وفاء العهد من بادوليو نحو ستة أشهر فلم يرد عليه .

عمر يرفض الإغراء !

وقد أراد الطليان أن يستميلوا السيد عمر بالمال ؛ فأرسلوا إليه مع « بلعون مدير الحاسة » يعرضون عليه مليون فرنك هدية فرفضها ، وفضل البقاء مع إخوانه إلى أن يأذن الله بلقائه عزيزاً مكرماً .

وقد خطر ببال السيد عمر أنه ربما كان وكيل الوالى لا يبلغ الوالى حقيقة الأمر ؛ فأراد أن ينفى هذا الخاطر ، فكتب إليه ثلاثة يطلب الاجتماع به ليعلم منه مشافهة سبب هذا التأخير .

وذكر له فى كتابه : « إلى أعد رفض مقابلتى إعلاناً منك بقطع المفاوضات ، ونقضاً

للعهد ، وإليه فستعود الأمور إلى ما كانت عليه .
فرجع البريد مع « أنى بكر البرعصى » يقول فيه على لسان « الشارف الغريانى »
مستشار الحكومة فى بنغازى : « إن الحكومة مستعدة فى كل وقت لمقابلة الحوادث ،
فلا حاجة لإعلانها بعود الأمور إلى ما كانت عليه » .
ولمّا هنا انتهى حديث المفاوضات ، وتحقق السيد عمر أن الطليان لا يرغبون فى
الصلح ، وإنهم إنما يطلبون الهدنة لكسب الوقت فقط .

نداء !

وعندئذ تأكد للسيد عمر أن الطليان مصممون على القتال ، وجه هذا النداء إلى
أبناء وطنه سكان برقة وطرابلس ، يفسر فيه حقيقة تلك الأخبار المشوهة التى أذاعتها
بعض الصحف عن توقيف القتال بين المجاهدين والإيطاليين ، وقد نشر هذا النداء فى
جريدة الأخبار المصرية ، وهذا نصه :
أبناء وطنى سكان برقة وطرابلس :

فى ابتداء سنة ١٣٤٨ هـ وأواسط سنة ١٩٢٩ م خاطبتنى الحكومة الإيطالية على
لسان ممثلها سعادة الوالى المارشال « بادوليو » بتوقيف الحرب ، وتقديم مطالبنا ، وتعيين
محل لمقابلة دولته ، فحصل ذلك ، وتقابلنا « بسيدى رحومة » ، واتفقنا على عمل هدنة
مدتها شهران ليخبر كل منا مرجعه ، وفى أثناء المقابلة طلب منى تقديم مطالبنا ، وقال
لى : إنه مستعد لإرجاع أميرنا السيد محمد إدريس السنوسى إلى برقة إذا كنا نرغب
فى ذلك .

ومن جملة شروط الهدنة التى قدمناها ما يأتى :-
أولاً : العفو العام عن كل المجرمين السياسيين ، سواء كانوا فى داخل القطر أو
خارجه ، وإطلاق سراح المسجونين .
ثانياً : سحب كل النقاط المستجدة أثناء حرب ١٣٤١ هـ بما فى ذلك نقطتنا
« الجغبوب » و« جالو » .
ثالثاً : لى الحق فى أخذ الزكاة الشرعية من العربان القاطنين حول النقاط الإيطالية
بالسواحل .

رابعاً : مدة الهدنة شهران وقابلة للتجديد ..
فقبل سعادة المارشال هذه المطالب ، ووعده بتنفيذها . وقبل انتهاء مدة الشهرين

أخبرت سعادة الوالى بواسطة وكيله الكولونيل « سيشلياني » أن كل الزعماء الوطنيين اتفقوا على انتخاب الأمير السيد محمد إدريس السنوسى ، وهو ينتخب معه الرجال الأكفاء من أبناء برقة وطرابلس لتولى المفاوضة مع الحكومة الإيطالية على مطالب برقة وطرابلس ، وطلبت من الحكومة أن تخبر سيادة الأمير السيد محمد إدريس السنوسى حالاً لاتخاذ الطرق المؤدية لإنهاء الحالة الحاضرة بأحسن منها ، فوعدنى سعادته خيراً . وقبل انتهاء مدة الشهرين طلبوا تجديد الهدنة بدعوى أن الوالى سافر لروما لعرض الأمر على الحكومة ، وإلى الآن لم يحضر .

وهكذا امتدت الهدنة بال عشرة الأيام وبالعشرين حتى ٣ من جمادى الأولى عام ١٣٤٨ هـ ، فعرفت أن غرض الحكومة هو كسب الوقت فقط ، لذلك أبلغت الحكومة بواسطة وكيل الوالى أن الهدنة آخرها يوم ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ، وأنها غير قابلة للتجديد .

والآن والهدنة على وشك الانتهاء ، ولم أتلق رداً من الحكومة الإيطالية عن عزمها بمخاطبة أميرنا السيد محمد إدريس السنوسى رأيت أن أخوض غمار الحرب ، وإلا أركن إلى أى محاذة أو واسطة ، ولو من العائلة السنوسية إلا من اتفقت عليه الأمة ، وأودعته ثقتها .

ولكن لا أدرى ، لماذا تتجنب الحكومة الإيطالية مخاطبة الزعيم المذكور مع علمها تماماً بأن الحل والعقد بيده ، فلو كانت حقيقة تركز إلى الصلح لما ترددت لحظة واحدة فى مخاطبته .

فليعلم إذاً كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما هو بث الفتن والدسائس بيننا لتفريق شملنا ، وتفكيك أواصر اتحادنا لتتم لهم الغلبة علينا ، واغتصاب كل حق مشروع لنا ، كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة ، ولكن بحمد الله لم توفق إلى شئ من ذلك .

وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة ، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية ، وأن مقاصد إيطاليا وأغراضها ترمى إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسى وتقدمه ، ومع ذلك لا يمكننا أن نقول : إن جميع الشعب الإيطالى يجذب فكرة الحرب ، وخصوصاً فى الوقت الذى تتساهل فيه الأمم الأخرى مع الشعوب الشرقية ، بل فيه رجال سياسيون ميالون إلى السلم يقدرون مصلحة بلادهم ، ويعرفون ما تجره الحرب من ويلات ودمار ، كما أن فيه أفراداً يريدون

القضاء على الشعب الطرابلسي بأى وجه كان .
وهيئات أن يصل الآخرون إلى غرضهم هذا مادامت لنا قلوب تعرف : أنه في
سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغالٍ ، وها نحن الآن ندافع عن كيانتنا ، ونبذل
دماءنا الزكية فداءً للوطن ، وفي سبيل الوصول إلى غايتنا المنشودة .
لهذا نحن غير مسئولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هي عليه حتى يثوب
أولئك الأفراد النزاعون إلى القضاء علينا إلى رشدهم ، ويسلكوا السبيل القويم ،
ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداينة والخذاع .





عمر المختار قائد القوات الوطنية

غدر الطليان :

وكان عمر المختار محقاً في توقع الغدر من جانب الطليان ، فما لبثت الطائرات الإيطالية أن ألقت قذائفها في ٢٦ من يناير على المجاهدين والسيد عمر المختار ، وبدأ النضال من جديد بين المجاهدين وبين الحكومة الإيطالية .

مصير الحونة ! :

ولما أيقنت إيطاليا أن مركز السيد عمر لا يؤثر فيه انشقاق الحسن عليه ، وأنه من المستحيل أن يحقق لها الحسن شيئاً مما كانت تعلقه مع مناوئته للسيد عمر اعتزمت القبض عليه وعلى من معه ، فهاجمتهم بجيشها ، وشتت الله شملهم ، وصاروا إلى ما يصير إليه غير المخلصين .

أما الحسن فقد ذهب به إلى بنغازي حافي الرجل ، محاطاً بالجنود ، ثم نفى إلى روما ، ودفع الله شره عن السيد عمر بعد أن كان يزداد ازدياداً عظيماً .

ومحاولات جديدة ! :

وبعد أن نفى محمد رضا السنوسي إلى إيطاليا نحو الستين جيء به إلى بنغازي للتأثير به على السيد عمر ، فصار يكتب إليه في شأن التسليم للطليان ، وقد كتب منشوراً بذلك ألغته الطائرات على المجاهدين بالجبل الأخضر في فبراير سنة ١٩٣٠ تبرأ فيه من المجاهدين ومن السيد عمر إذا لم يسلموا للطليان .

ولما انشق ابنه الحسن على السيد عمر ، وانضم إليه بعض المرتزقة خرج إليهم الرضا ، وحضهم على الانضمام إلى الطليان ، والانفضاض من حول السيد عمر ، ووصف السيد عمر ومن معه بالعصاة الخارجين ..

براءة المسلمين من منشور رضا السنوسى ونشل الحسن ابنه :

وقد برئ عموم المسلمين من منشور محمد رضا السنوسى ، ومن أعماله التى تحقر المسلمين والسنوسيين . ولما لم ينجح الحسن بن الرضا فى عمله فكر الطليان فى نقل العرب من حـرل الجبل الأحـصر . وفصلهم عن المجاهدين ، حتى يبقى المجاهدون فى عزلة تامة ، فتم نقلهم فى سبتمبر سنة ١٩٣٠ إلى « عين الغزالة » ثم إلى « العقيلة » وهى على حدود برقة الغربية ، وعينوا لهم منطقة ضيقة لا يتجاوزونها ، وكان حصرهم فيها صورة مصغرة من يوم الحشر ، ففتكت بهم الأمراض والجوع فتكأ ذريعاً .

أقوى سلاح استعملته إيطاليا :

وكان فصل العرب من المجاهدين أقوى سلاح استعملته إيطاليا للقضاء على الثورة فى برقة ، وكان من أفظع ما تبيحه الحروب للقضاء على أحد المتحاربين . وقد أحس السيد عمر المختار بخطر هذا العمل ، وعلم أن عاقبته خطيرة إذا لم يتدارك الله المجاهدين بلفظه ، ولكنه صمد له صموده لكل الحوادث التى مرت به ، وواجه عدوه بقلب مؤمن ملؤه اليقين بأنه على حق فى ما يقوم به من الدفاع عن الوطن ، والله يؤتى نصره من يشاء .

وبعد الانتهاء من نقل العرب إلى « العقيلة » اتجهت نية الطليان إلى احتلال « الكفرة » ، فأخذوا فى الاستعداد لذلك .



مهاجمته قوات الاستطلاع



تعليمات جديدة يحملها نائب الحاكم العام :

جاء « جرازياي » إلى برقة حاكماً عليها ، ونائباً للمارشال « بادوليو » الحاكم العام لكل من برقة وطرابلس . وكان مزوداً بتعليمات صريحة من قبل حكومة « الدوتشي » الفاشيستية بضرورة القضاء قضاءً تاماً على المقاومة في برقة ، وذلك بأن يعد أعظم قوات في استطاعته استخداماً بصورة سريعة وصارمة ، وذلك للقضاء على المعسكرات ، وإستشارة المجاهدين إلى الاشتباك مع الطليان في معارك فاصلة ، وأخيراً احتلال « الكفرة » . كما كان مزوداً بتعليمات بضرورة الفصل بين جميع الأهليين الذين خضعوا للحكومة ، وأظهروا ولاءهم لها عن الثوار والمجاهدين العرب ، واتخاذ كل الوسائل التي تضمن عدم تسرب نفوذ السنوسية بين الأهالي المواليين للطليان .

عملية تطهير واسعة ! :

كما كان مكلفاً بقيام الحكومة بعملية تطهير واسعة بين الوطنيين والطليان المقيمين في المدن ، وخصوصاً في بنغازي ، وبقفل الحدود المصرية قفلاً تاماً ؛ لمنع وصول الأسلحة والتكوين إلى المجاهدين .

ومنذ عودته إلى بنغازي أخذ يضع هذا البرنامج موضع التنفيذ من غير إبطاء ، معلناً أنه سوف يتبع بكل إخلاص تعاليم الدولة الفاشيستية ، ويسير على مبادئها لأنه يؤمن بها ، وإن كان قائداً من قواد الجيش ، وأحد الرجال العسكريين ، وكان يعلن هذه الحقيقة بكل وضوح وصراحة تامة .

المحكمة الطائرة ! :

وبعد وصوله بأيام قلائل أنشأ ما عرف في تاريخ الاستعمار الإيطالي باسم المحكمة الطائرة (أبريل ١٩٣٠) ، وذلك بسبب انتقال هذه المحكمة على متن الطائرات من

مكان إلى آخر لإصدار الأحكام السريعة ، ثم تنفيذها على أيدي السلطات المحلية فوراً ؛ حتى يشعر الأهليون بأن العدالة تأخذ مجراها بكل سرعة .

تغييرات جديدة ! :

وفي نفس الوقت بدأ ينفذ سياسة عزل الأهالي الخاضعين للحكومة عن المجاهدين ، فحشدتهم في المعتقلات التي امتدت من العقيلة إلى السلوم .
ثم أخذ يعمل على حل زوايا السنوسيين ، ومصادرة أملاك الزوايا وأوقافها ، إلى غير ذلك من أنواع النشاط التي قام بها تنفيذاً للشطر الأول من التعليمات المعطاة له ، وذلك حتى يضيق الحصار على المجاهدين في الجبل الأخضر والمناطق الأخرى .
وكانت معسكرات المجاهدين عند حضوره موزعة في أماكن قريبة من نواجع الأهالي ، وذلك حتى يسهل على عمر المختار وصحبه أخذ العشور ، والحصول على الذخائر والأسلحة والمؤن .

المجاهدون يبدأون من جديد ! :

وفي ١١ من أبريل عام ١٩٣٠ م بدأ المجاهدون هجومهم الجديد بالانقضاض على قوة إيطالية ، ولكن وصول النجذات السريعة إلى الطليان ، واضطرار المجاهدين إلى الانسحاب ما لبث أن جعل عمر المختار يغير شيئاً من أساليبه ، ويركن إلى مفاجأة القوات التي كان يرسلها الطليان للاستطلاع في أماكن متفرقة ، أو تلك التي كانت تقوم بحراسة العمال المكلفين بإنشاء الطرق ، تمهيداً للقيام بالعمليات العسكرية في الجبل الأخضر .

وقد أبلى المجاهدون في هذه المناوشات بلاءً حسناً ، وأشاعوا تهكماً بالطليان واحتقاراً لهم أن عمر المختار قد أصيب بجروح في إحدى هذه المناوشات تارة ، أو أنه أصيب بمرض طارئ أدى إلى استشهاده تارة أخرى ! وذلك كله لإقامة الدليل على أن المقاومة مازالت سائرة في طريقها الجدى ، على الرغم من عدم إشراف قائد المجاهدين الأعلى على عمليات الجهاد بنفسه .

الإيطاليون يحكمون تدابيرهم العسكرية :

وأحكم جرازياي تدابيرهم العسكرية ، فلم يأت يوم ١٤ من يونيو حتى كان الطليان

قد استولوا على منطقة « الفايديّة » بأجمعها ، واحتلوها ، ونزحوا من الأهالى الخاضعين لهم ٣١٧٥ بندقية و ٦٠٠٠٠٠ خرطوشة .

عمر المختار ينقل دائرة عملياته :

واضطر عمر المختار نتيجة لذلك إلى نقل دائرة عملياته إلى الناحية الشرقية في « الدفنا » ، نظراً لقربها من الحدود المصرية ، وذلك حتى يتمكن من إرسال المواتى التى يأتية بها الأهالى إلى الأسواق المصرية ، في نظير أخذ حاجته من هذه الأسواق ، مما جعل جرازبانى يقرر إقامة الأسلاك الشائكة على طول الحدود الشرقية من بردى سليمان إلى ما بعد الجغبوب .

محاصرة المجاهدين بالأسلاك الشائكة :

وهذه المسافة لا تقل عن ثلثائة كيلومتر ، وابتدأ فى مدها فى شوال سنة ١٣٤٩ هـ ، وانتهى من مدها فى ربيع الأول سنة ١٣٥٠ هـ .

وبعد مد الأسلاك الشائكة أصبح المجاهدون منقطعين عن جميع البشر من جميع الجهات ، وقد حاولوا اختراق هذه الأسلاك عدة مرات فكانوا يلاقون أشد التعب والمشقة فى اختراقها .

فهل ضعف عمر المختار بعد هذا كله واستسلم ، بعد أن وضح للجميع أن المعركة ميؤوس منها ، وأن الطليان لهم السيطرة التامة على البلاد ؟
كلا ، لم يضعف ولم يستسلم ، بل استمر فى جهاده ونضاله ، مؤملاً من إخوانه المسلمين أن يسعوا فى تفريج هذه الضائقة التى حلت بهم ، إلى أن وقع أسيراً فى ميدان القتال ، عليه رحمة الله .



معاركه حتى انتهاء المقاومة



هجوم على مراكز الطليان :

هاجم المجاهدون مراكز الطليان في منطقة « عين الغزالة » ، واستولوا على عدد عظيم من الجمال ، ثم انضم إليهم كثير من الأهالي ؛ فاضطر جرازياي إلى جمع النواجم المنتشرة في هذه المنطقة ، ووضعها في أماكن أحاطها بالأسلاك الشائكة . ثم أحضر من طرابلس قوات غير نظامية ، واشتبكت بسرعة مع المجاهدين في معارك لم تكن فاصلة .

استشهاد قائد عظيم ! ! ومعه أربعون شهيداً :

وفي شهر أغسطس التحم الطليان مع المجاهدين في مناوشات عدة . وفي ١٩ من سبتمبر نقل جرازياي قوات أخرى غير نظامية من قبيلة « الجاسة » إلى ناحية « القبة » ، ولكنه لم يصل إلى نتيجة ؛ فأعاد العدو الهجوم على المعسكرات ، وجاهد المجاهدون في « وادي ساقية » ، واشتبكت معهم في معركة كرسية المشهورة في ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٣٠ م ، وهي التي استشهد فيها السيد الفضيل بو عمر . وكان السيد الفضيل بو عمر مجاهداً قديماً ، وخير قواد عمر المختار ، وعرف بالشجاعة والإخلاص ، واشترك في الحرب الليبية الإيطالية عام ١٩١٣ م .

وقد ذكر عمر المختار تفاصيل هذه المعركة فقال : « إن العدو هاجم المعسكر وكان رئيسه « الفضيل بو عمر » ، وقد استشهد في هذه المعركة أربعون شهيداً إلى جانب الفضيل ، وقد وجدنا في ميدان القتال ما يزيد عن مئسمائة قتيل من العدو ، وكان بينهم ماجور وثلاثة ضباط » .

وبعد هذه الواقعة شدد الطليان عملياتهم العسكرية في منطقة الجبل الأخضر ، فاستمرت مجموعهم تناوش المجاهدين مدة أسبوعين ، ولكن بدون أن تصل إلى نتيجة .

معركة كبيرة ١ :

وفي أكتوبر عام ١٩٣٠ م تمكن الطليان من الاشتباك مع المجاهدين في معركة كبيرة ، وقد عثر الطليان عقب انتهائها على غطارات السيد عمر المختار ، كما عثروا على جواده المعزوف مقتولاً في ميدان المعركة ، فثبت لديهم أن عمر مازال على قيد الحياة . وأصدر جبرازياني منشوراً ضمنه هذا الحادث ، وقد حاول فيه أن يقضى على أسطورة عمر المختار الذي لا يقهر أبداً ، وقال متوعداً : « لقد أخذنا اليوم نظارات عمر المختار ، وغداً نأتي برأسه » .

وبعد الاستعدادات العظيمة بدأ زحف الطليان لاحتلال « الكفرة » ، وهي تعد معقل السنوسية الأكبر ، وعرف الطليان وهم في طريقهم إليها بتجميع قوات المجاهدين في واحة « الهواري » ، فبادروا بالاشتباك معهم في معركة دامت ثلاث ساعات ، واستخدمت فيها الطائرات ، وقاتل المجاهدون جميعاً بشجاعة نادرة ، فلم يكفوا عن القتال إلا عند شعورهم بأنهم سوف يفنون عن آخرهم ، وقد استشهد من المجاهدين حوالي المائة ، وأسر منهم ثلاثة عشر فقط ، وغنم الطليان مائة بندقية وبعض الذخائر ، واحتلوا « الكفرة » .

ولا يستطيع أحد أن يطالب هؤلاء الأبطال بالاستمرار في القتال بعد أن استشهدوا جميعاً إلا ثلاثة عشر ، وكان مصيرهم الفناء التام .

سقوط الكفرة معقل السنوسية الأكبر :

وفي ٢٤ من يناير عام ١٩٣١ م وصل إلى الكفرة المارشال « بادوليو » بطريق الجو ، ورفع الطليان علمهم على زاوية التاج ، ثم أخذت قواتهم تطارد المجاهدين ، ورجع الطليان من هذه المطاردة بخمسين أسيراً ، قتلوا منهم اثني عشر رجلاً فوراً . وبسقوط الكفرة انتهت في الحقيقة كل مقاومة جديّة ضد الطليان في برقة ، خصوصاً بعد أن أجّلوا في الوقت نفسه العرب النازلين حول الجبل الأخضر . كما كان سقوط « الفزان » في العام السابق قد قضى على المقاومة في طرابلس .

وماذا بعد سقوط الكفرة ؟

كان لسقوط « الكفرة » أعظم الأثر في موقف البطل عمر المختار في « الجبل الأخضر » ،

وهو الذى دوخ الإيطاليين ، وأحبط مخططاتهم ، وأشاع فى قلوبهم الرعب !
ولكن « جرازياي » قائد العدو بعد سقوط « الكفرة » كان قد ضيق على عمر المختار
الخناق ، فأغلق الحدود المصرية إغلاقاً تاماً ، وحال بين عمر المختار ، ووصول أى مدد إليه فى
« الجبل الأخضر » .

وهنا أدرك « عمر المختار » مدى الصعوبات التى أحاطت به من كل جانب !
فماذا هو فاعل يا ترى !؟
لقد ظل فى « الجبل الأخضر » يقاوم الطليان متسلحاً بالإيمان ، غير عابئ بما كان ! حتى
حدث ما لم يكن فى الحسبان !!



أسر عمر المختار



برقية :

في يوم ١١ من سبتمبر عام ١٩٣١ م وصل إلى الحكومة برقية تفيد أن مصادمات وقعت بين المجاهدين وبين قوة من خيالة الحكومة بالقرب من سلنطة ، وأن رجلاً من الأهليين وقع في أسرهم ، وقد عرفه الجند وقالوا : إنه عمر المختار نفسه ! وكان لهذه البرقية أثر بالغ في دوائر الحكومة ، فتوجه مندوبها فوراً بطريق الجو إلى مكان هذا الحادث ، وذلك ليقف بنفسه على الحقيقة ، فسهل عليه التعرف على السيد عمر المختار ، كما أعلن عمر المختار عن شخصه ، فأرسله المندوب بحراسة قوية إلى مرسى سوسة ، ثم نقلته سفينة حربية إلى « بنغازي » ، وعندما وصل إليها أودع السجن .

تفصيل الحادث :

وقد فصل أحد الكتاب ما وقع للسيد عمر المختار فقال : « إن عمر المختار كان قد جرى على عادة الانتقال في كل سنة من مركز إقامته إلى المراكز الأخرى التي يقيم فيها إخوانه المجاهدون ، وذلك لتفقد أحوالهم ، وكان إذا ذهب لهذا الغرض يستعد للطوارئ ، ويأخذ معه قوة كافية تحرسه من العدو الذي يترصد له في كل زمان ومكان ، ولما أراد الله أن يختم له بالشهادة ذهب في هذه السنة كعادته في نفر قليل يقدر بمائة فارس ، ولكنه عاد فردّ من هذا العدد ستين فارساً ، وذهب في أربعين فارساً فقط .

ويوجد في الجبل الأخضر وادٍ عظيم معترض بين المجاهدين اسمه « وادي الجريب » ، وهو صعب المسالك ، كثير الغابات ، وكان لابد من اجتيازه ، فمرّ به السيد عمر المختار ومنّ معه ، وباتوا فيه ليلتين ، وعلمت بهذا إيطاليا بواسطة جواسيسها المنتشرين في كل مكان ، فأمرت بتطويق الوادي فوراً من جميع الجهات ، وذلك بعد أن جمعت كل ما عندها من قوة قريبة وبعيدة ، فما شعر السيد عمر المختار ومن معه إلا وهم وسط العدو ، ورأى أنه لا خلاص له من هذا المأزق إلا بالهجوم ، فأمر من

معه بالهجوم على من بقريهم من العدو في الجهة القبلية ، ودامت المعركة بينهما يومين كاملين .

وعلى الرغم من الاحتياطات الشديدة التي اتخذها العدو ، وعلى الرغم من كثرة عدده وعُدته تمكّن السيد عمر المختار ومن بقى معه من خرق صفوف العدو ، وخرجوا من ذلك الوادى ، ووصلوا إلى غرى « سلنطة » ، ففاجأتهم قوة طليانية أخرى غير القوة التي حاصرتهم في الوادى - وكانت ذخيرتهم على وشك النفاد - فاضطرتهم إلى الاشتباك معها في معركة جديدة ، قتل فيها جميع من بقى معه ، وقتل حصانه أيضاً ، ووقع عليه ، فتمكن من التخلص من تحته ، وظل يقاتل في تلك القوة وحده إلى أن جرح في يده ، ثم تكاثرت عليه الأعداء ، وغلب على أمره ، وأخذ أسيراً .

سبب وقوعه في الأسر :

وعند قدوم السيد عمر المختار إلى بنغازى عزا في حديثه سبب وقوعه في الأسر إلى نفاد ذخيرته ، وعجز المجاهدين الذين كانوا معه عن مواصلة القتال ، وأكد للمتصرف الإيطالى أن وقوعه في الأسر لا يضعف شيئاً من حدة المقاومة ، لأنه قد اتخذ من التدابير ما يكفل انتقال القيادة من بعده إلى غيره .

كلمات غالية !

وأخيراً قال عمر المختار هذه الكلمات الغالية ، التى يجب أن نلقنها لأبنائنا جيلاً بعد جيل : « إن القبض عليه ، ووقوعه في قبضة الطليان إنما حدث تنفيذاً لإرادة المولى عز وجل ، وأنه وقد أصبح الآن أسيراً بأيدي الحكومة الإيطالية فالله سبحانه وتعالى وحده يتولى أمره ، وأما أنتم فلکم الآن وقد أخذتمونى أن تفعلوا بى ما تشاءون ، وليكن معلوماً أى ما كنت في يوم من الأيام لأسلم لكم طوعاً » .

الحكمة الطائرة تدعى فوراً إلى الانعقاد !

وكان جرازيانى وقت القبض على عمر المختار يقضى إجازته في روما ، فوصله الخبر مساء يوم ١٢ من سبتمبر عام ١٩٣١ م - وهو بالقطار الذهاب إلى باريس ، فلم يتابع رحلته بل استقل طائرة أوصلته إلى طرابلس في يوم ١٣ من سبتمبر عام ١٩٣١ م ، ووصل إلى بنغازى في اليوم التالى ، ودعا فوراً المحكمة الخاصة أو « المحكمة الطائرة » إلى الانعقاد في يوم ١٥ من سبتمبر عام ١٩٣١ م .

حواره مع جرازيانى



القائد الإيطالى والبطل الأشم :

أرادت الأقدار أن يقف البطل الذى حير إيطاليا ، وأشاع الرعب فى قلوب جيشها أمام « جرازيانى » ، ذلك الرجل الذى كان من الذين يجارون كل عهد ، ويستفيدون منه ، فقد كان من قادة الجيش الإيطالى ، فلما جاء موسوليني وادعى الزعامة على إيطاليا ، وحشر نفسه فى صفوف الزعامات العالمية كان جرازيانى أول من صفق له ، وصار فاشيستياً أكثر من الفاشيست . أنفسهم .

أمام هذا الرجل الذى لا مبدأ له وقف البطل الأشم عمر المختار . وتستطيع أن تفكر فى هذا الموقف طويلاً ، فإن النفوس الحقيرة لا تعرف الشرف ولا الرجولة ولا الكرامة ولا الأخلاق إذا خاصمت ، فما يكاد عدوها يقع فى يدها حتى تصب عليه ألواناً من العذاب ، يدفعها إلى ذلك شدة إحساسها بمقارنتها وعظمة عدوها ، وشدة شعورها بنقصها وكال أسيرها .

اللهم لا شماتة !

من أجل ذلك دفعت الشماتة هذا الرجل الحقير أن يقطع رحلته إلى باريس ويعود إلى بنغازى ، وأن يدعو المحكمة الطائرة إلى الانعقاد ، وأن يستدعى البطل فى صبيحة اليوم نفسه !

وقبل المحاكمة بقليل جاءوا به مقيد اليدين بالسلاسل والقيود ، وكان يسير بصعوبة ، وقد غطى وجهه بحرامه ، وظهر عمر المختار حينئذ ولياً من أولياء الله ، لم ينل الأسر والسجن شيئاً من وقاره ، وجلال هيئته .

حوار بين الجبان والأسد :

ودار الحوار التالى بين الأسد المسلسل ظلماً وطغياناً وبين الجبان جرازيانى وإن لبس ملابس الأسود ، وكان يقوم ترجمان جرازيانى الخاص بالترجمة :

جرازياى : (مخاطباً عمر المختار) : لماذا حاربت الحكومة الإيطالية هذه الحرب الشديدة ؟

عمر : لأن دينى يأمرنى بذلك .

جرازياى : هل كان لديك أى أمل فى أنك سوف تستطيع إخراجنا من برقة ، ومعك هذا العدد القليل من الرجال الذين ينخرطون معك ، وتلك المعدات القليلة التى تملكها ؟

عمر : كلا ، فإن هذا على ما يبدو كان أمراً مستحيلاً .

جرازياى : ماذا كان غرضك إذن ؟ وماذا كنت تبغى ؟

عمر : كنت مجاهداً وكفى ، أما ما ينجم من هذا الجهاد فالأمر فيه موكل لله وحده .

جرازياى : ولكنى أعلم أن كتابك (أى القرآن الكريم) يفرض عليك الجهاد ضد الكفار إذا كان هناك أى أمل فى النجاح والنصر فقط ؛ حتى لا يضر الأهليون أو يلحق بهم الأذى . هل يقول القرآن الكريم ذلك حقاً ؟

عمر : نعم .

جرازياى : لماذا إذن حاربت ؟

عمر : لأن دينى يأمرنى بذلك .

جرازياى : كلا ، بل الصحيح هو أنك لم تحارب إلا من أجل السنوسية فحسب ، وهذا شئ آخر .

[وهنا انطلق جرازياى يهاجم السنوسية ، والدوافع التى جعلت المختار يتابع الجهاد ضد الطليان ، فلم يجبه عمر المختار بشئ ، ولكنه - كما قال جرازياى - كان يظهر فى أثناء ذلك ألماً شديداً .]

جرازياى : لماذا نقضت اتفاق السلام ، وأمرت بالهجوم على (جرس بنقدن) ؟

عمر : لأننى ظللت شهراً بطوله أنتظر الرد على خطابى إلى بادوليو ، ولم يرد بشئ .

جرازياى : هذا كلام من يريد الاعتذار عن عمل طائش أتاه ، ولا يصح أن يصدر من رجل مثلك ، والواقع أنك نقضت السلم متعمداً ، وإليك الدليل على ذلك .

[ثم يستمر جرازياى يقول : وقد قرأت عليه المنشور الذى أمضاه ، ونشرته الصحف المصرية ويقصد نداء عمر المختار الذى أذاعه فى ٢٠ من أكتوبر عام ١٩٢٩ م ، أما المختار فلم يجب بشئ]

جرازياى : هل أمرت فعلاً بقتل الطيارين أوبر وبياتى ؟
عمر : نعم ، فإن الرئيس وحده هو الذى يتحمل جميع المسئوليات ، والحرب
هى الحرب .

جرازياى : هذا يكون إذا كان هناك حرب فعلاً ، وليست أعمال لصوصية إجرامية
مثل أعمالكم .
عمر : هذه مسألة رأى .

جرازياى : لقد أضعت بعملك فى (جرس بنقذن) كل حق فى طلب الرحمة من
الحكومة .

عمر : مكتوب ! ولكنى أريد أن أقول : إننى عندما وقعت فى الأسر لم يكن معى
سوى ست خرطوشات فقط ، وربما كان لذلك فى إمكانى أن أقتل الجندى الذى أسرنى
أو أقتل أنا .

جرازياى : ولماذا لم تفعل هذا ؟

عمر : لأن ذلك كان من قضاء الله وقدره ، إني رجل كبير السن فدعنى أجلس .
[وعندئذ يقول جرازياى : إن عمر المختار جلس أمام مكتبه ، وكشف قليلاً عن
وجهه ، وكان يبدو عليه الهدوء بعد تأثره الأول ، وكان جالساً بصورة تمكن جرازياى
من رؤية نصفه الجانبي ،

ويسترسل جرازياى فيقول : وكان وجه المختار ضارباً إلى الحمرة قليلاً ، ولم يتالك
أن شعر فى قرارة نفسه أنه كان أمام رجل تتجسم فى شخصه الزعامة بأوضح معانيها ،
حتى أن جرازياى قال : كان وهو يكتب مؤلفه عن برقة لا يزال يشعر بالأثر الذى
أحدثته فى نفسه رؤية عمر المختار ، وكيف أنه أدرك لماذا كان المختار صاحب الكلمة
المسموعة ، والرأى الأعلى بين المجاهدين] .

وقد فاجأ جرازياى عمر المختار بالسؤال الآتى :

جرازياى : كم من الوقت يمكنك بما لك من نفوذ وصولاً أن تخضع الثوار فى الجبل ؟
عمر : أبداً أبداً .. إني كأسير لا أستطيع فعل شيء ، وفضلاً عن ذلك فقد أقسمنا جميعاً
أن نموت واحداً بعد واحد ، ولا نسلم أنفسنا بتاتاً ، ومن المعروف تماماً أنى لم أسلم
نفسى إليكم .

جرازياى : من المحتمل لو أننا كنا على اتصال أكثر ، وزادت معرفتنا لبعضنا بعضاً لكان

من المستطاع بالنظر لما لكم من خبرة أن نعمل سوياً من أجل الوصول إلى شيء قد يفيد مصلحة السلام .

عمر : ولماذا لا نسعى في سبيل ذلك الآن ؟

جرازياي : لقد فات أوان ذلك ، لقد فات أوان ذلك لأنك صرحت بعدم استطاعتك فعل شيء نتيجة لوقوعك في أسرنا .

[ويقول جرازياي : إنه عرض على السيد عمر النظارات التي أضعها المختار في معركة « وادي السانية » فعرف عمر المختار النظارات وقال : إنه أضعها في هذه المعركة] .

جرازياي : لقد تأكد لي من ذلك اليوم الذي عثرنا فيه على هذه النظارات أنك يوماً سوف تكون في أسرى .

عمر : مكتوب . أرجع إلّي النظارات لأنني لا أرى بدونها ، ولكن ما الفائدة وأنا الآن في قبضتك مع النظارات ؟

جرازياي : هل كنت تعتقد أن الله تعالى سوف يحملك لأنك تجاهد في سبيل قضية عادلة ؟

عمر : نعم .

جرازياي : أنصت لما أقول : لقد فر الزعماء أو ماتوا أمام جيوشنا المنتشرة من « تالوت » إلى « جبل بركة » ، ولم أقبض على واحد منهم وهو ما يزال على قيد الحياة . فلماذا تكون أنت ذلك الرجل الذي لا يقهر ولا يهزم أبداً ، والذي لا يستطيع أن يأسره إنسان ، ويوليه المولى حمايته ؟ لماذا تكون أنت الآن في هذا المكان ؟ ولماذا لا يكون من حقّي أن أعتقد أنا الآخر أن الله يوليني حمايته ورعايته ؟

عمر : الله أكبر .

جرازياي : لاشك أنك كنت طوال حياتك رجلاً شجاعاً ، وإنّي لأرجو أن تكون شجاعاً مهما حدث لك أو نزل بك .

عمر : إن شاء الله .

[ويقول جرازياي : إن السيد عمر المختار قد فهم في تلك الآونة مصيره المحتوم] .

عمر المختار هو عمر المختار حتى النهاية ! :

وقوت عمر المختار على الكلب جرازياي ما يريد ، لقد كان يريد أن يتخذ عمر

المختار أداة طيعة لإخماد جذوة المقاومة ، فلم يحقق أمله .
ومن الثابت أن جرازيانى عرض على عمر المختار عفواً شاملاً نظير أن يكتب بتوقيعه
نداء للمجاهدين يدعوهم فيه إلى الكف عن القتال والمقاومة ، ويطلب إليهم أن يسلموا
أنفسهم وأسلحتهم للحكومة ، فرفض عمر المختار لأسباب وضحها جرازيانى وهى :
« أن هذا العمل لا يرضى ضميره ودينه ، وفضلاً عن ذلك فإن أحداً لن يصدق صدور
هذا النداء من عمر المختار » .

أرأيت ؟ هذا هو عمر المختار يختر بين أمرين : إما الموت وإما الحياة ، فاختار الموت
بلا تردد ، لأن ضميره ودينه ووطنيته تأبى عليه أن يحيا ذليلاً !!
وتلك هى الزعامة الوطنية حقاً وصدقاً .



محاكمته



محاكمة سورية ! :

في الساعة الخامسة من مساء هذه المقابلة (التي في ١٥ من سبتمبر عام ١٩٣١ م) جرت هذه المحاكمة في مكان برلمان برقة القديم . وكانت محاكمة السيد عمر المختار سورية شكلاً وموضوعاً ، والدليل على ذلك : أن الطليان كانوا قد أعدوا المشنقة قبل بدء المحاكمة بيوم واحد ، وانتهوا من ترتيبات تنفيذ حكم الإعدام قبل صدوره .

وتستطيع أن تفهم هذا في نهاية الحديث الذي دار بين البطل عمر المختار وبين جرازياي حيث قال له : « إني لأرجو أن تظل شجاعاً مهما حدث لك أو نزل بك » .. وإنما لكلمات تدل على الحبث والدناءة والشماتة ، ومعناها : أنك يا مختار سوف تعدم شنقاً فلا تبين أمام المشنقة .

ولو كان جرازياي في هذا الموقف لمات من الجبن قبل أن يساق إلى المشنقة ، ولكن عمر المختار هو عمر المختار ، الذي ظل يسمو ويسمو ثم يقول « إن شاء الله » ، فأى ثبات بعد هذا الموقف النادر الرائع !!!

وصف المحاكمة :

ونصف لك المحاكمة كما جاءت في كتب التاريخ : بعد اكتمال هيئة المحكمة افتتحت الجلسة ، ونودي بالدعوى ضد عمر المختار ، لاعتدائه على سلامة الدولة ، وعلى أمن البلاد ، ولقطعه الطريق . ثم نودي عليه وبدى في استجوابه ، وبعد أن أجاب عن اسمه ومولده وعمره سئل عما يأتي :

هل أنت رئيس الثوار ضد إيطاليا ؟ وهل حاربت للدولة ؟ وهل رفعت السلاح في وجه قوات الدولة ، واشتركت في القتال اشتراكاً فعلياً ؟ وهل أمرت بقتل الجنود

الذين كانوا يحرسون العمال أثناء إنشاء الطرق ؟ وهل أمرت بالغزو واشتركت فيه ؟
وهل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالي ؟
فأجاب عن هذه الأسئلة كلها بالإيجاب ، وكانت كلمة « نعم » تخرج من فمه واضحة عالية .

وسئل : هل قتلت الطيارين : « بياقي وأوير » ؟
فأجاب : إني بعد القبض عليهما أبقيتهما في المعسكر ، وأخبرت السلطة الإيطالية بشأنتهما ، وفي ذات اليوم حصلت معركة فذهبت إليهما ، فقتلنا بعدى ، ولا أعلم من القتال .

وسئل عن عدد المعارك التي باشرها من سنة ١٩٢٩ فقال : لا أدري .
ثم سئل السيد عمر : هل لديك ما تقول زيادة عما تقدم ؟ فقال : لا .
وبعد استجواب السيد عمر المختار ومناقشته وقف المدعى العمومى « بوندو » فطلب الحكم عليه بالإعدام وعندما جاء دور المحامى المعهود إليه بالدفاع عن السيد عمر المختار ، وكان ضابطاً إيطالياً يدعى الكابتن « لونتانو » وقف وقال : « كعجبدى لا أتردد أبداً إذا وقعت عيناي على عمر المختار في ميدان القتال في إطلاق الرصاص عليه وقتله ، وأفعل ذلك أيضاً كإيطالى أبغضه وأكرهه . ولكننى وقد كلفت بالدفاع ، فإننى أطلب حكماً هو في نظرى أشد هولاً من الإعدام نفسه ، وأقصد بذلك الحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، نظراً لكبر سنه وشيخوخته » .

وعندئذ تدخل المدعى العمومى وقطع الحديث على المحامى ، وطلب من رئيس المحكمة أن يمنعه من إتمام مرافعته ، مستنداً في طلبه هذا إلى أن الدفاع قد خرج عن الموضوع ، وليس من حقه أن يتكلم عن كِبَر سن عمر المختار وشيخوخته .
وقد وافقت المحكمة ، ومنعت المحامى من إتمام مرافعته !!! وفضلاً عن ذلك فإنها لم تعين محامياً بدلاً منه !!!

بل سأل رئيس المحكمة السيد عمر المختار : « إذا كان لديه أقوال أخرى » ، فلما أجاب بالنفى انسحبت المحكمة ، فرفعت الجلسة ، وكانت الساعة السادسة تماماً .
وفي الساعة السادسة والربع عادت المحكمة إلى الانعقاد ، وتلا رئيسها الحكم ، فإذا هو يثبت إدانة السيد عمر المختار ، ولذلك حكمت المحكمة عليه بالإعدام .
فقابل عمر المختار ذلك بقوله : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

وأراد رئيس المحكمة أن يعرف ما قاله السيد عمر المختار ، فطلب من الترجمان

أن يقلل إليه عبارته ، «فعل ، وعندئذ بدأ التأثير العميق على وجوه الإيطاليين أنفسهم ، الذين حضروا هذه المحاكمة الصورية ، كما أخذوا يعلقون على قسوة هذا الحكم ، منظرين استياءهم منه ، وإعجابهم بشجاعة عمر المختار وبسالته في آن واحد .

أهذه هي العدالة ؟ :

وبذلك تكون المحاكمة قد استغرقت من بدئها إلى نهايتها ساعة وربع الساعة فقط ، حوكم فيها عمر المختار ، وتليت الاتهامات ، ولم يسمح لمحاميهِ بالدفاع عنه ، وصدر الحكم عليه بالإعدام . وكذلك قضت إرادة الله تعالى أن يتحكم المستعمر الظالم في مصير هذا البطل العظيم ، لتتم الإرادة الإلهية ، ويلقى الرجل ربه شهيداً .

ويصف الدكتور « العنيزي » هذه المحاكمة فيقول : « جاء الطليان بالسيد عمر المختار إلى قاعة الجلسة مكبلاً بالحديد ، وحوله الحراس من كل جانب ، وكان مكاني في القاعة بجواره ، وأحضر الطليان أحد الترجمة الرسميين واسمه (نصرت هرمس) ، فلما افتتحت الجلسة ، وبدأ استجواب السيد عمر المختار بلغ التأثير بالترجمان حداً جعله لا يستطيع إخفاء تأثره ، وظهر عليه الارتباك ، فأمر رئيس المحكمة باستبعاده وإحضار ترجمان آخر ، فوقع الاختيار على أحد اليهود وهو (لمبروزو) من بين الحاضرين في الجلسة ، وقام (لمبروزو) بدور المترجم » .

وكان السيد عمر المختار رحمه الله جريئاً ، صريحاً ، يصحح للمحكمة بعض الوقائع ، خصوصاً حادث الطيارين الإيطاليين : « أوبر وبياتي » .



إعدامه



خسة ودناءة ! :

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ، وهو يوم الأربعاء الموافق ١٦ من سبتمبر عام ١٩٣١ م ، نفذ الطليان في « سلوق » حكم الإعدام شنقاً في السيد عمر المختار الذي كان في السبعين من عمره .

ودفعت الخسة الإيطاليين إلى أن يفعلوا شيئاً عجباً في تاريخ الشعوب ، وهو أنهم حرصوا على أن يجمعوا عدداً عظيماً لمشاهدة التنفيذ ، فأرغموا أعيان البرقاويين الذين اعتقلوهم في « بنينة » ، كما أرغموا أعيان « بنغازي » ، وعدداً كبيراً من الأهالي من مختلف الجهات على حضور عملية التنفيذ ، فحضر مالا يقل عن عشرين ألف نسمة ، على قول جرازياي !

ويقول الدكتور العنيزي : « لقد أرغم الطليان الأهالي ، والأعيان المعتقلين في معسكرات الاعتقال ، والنازلين في بنغازي على حضور المحاكمة ، وحضور التنفيذ . وكنت أحد أولئك الذين أرغمهم الطليان على حضور المحاكمة ، ولكنني وقد سيطر عليّ الحزن ، شأني في ذلك شأن سائر أبناء وطني ، لم أكن أستطيع رؤية ذلك البطل المجاهد على جبل المشنقة فمرضت ولم يُعفني الطليان من حضور التنفيذ في ذلك اليوم المشعوم إلا عندما تيقنوا من مرضي ، وعجزى عن الحضور .

ساعة رهيبة ! :

ويا لها من ساعة رهيبة ، تلك التي سار فيها عمر المختار بقدم ثابتة ، وشجاعة نادرة ، وهو ينطق بالشهادتين إلى جبل المشنقة ، وقد ظل عمر المختار يردد الشهادتين حتى نفذ فيه الجلادون حكم الإعدام وعندما وجد هؤلاء أن عمر المختار لم يمت أعادوا عملية الشنق مرة ثانية » .

الطليان يصابون بالرعب حتى بعد شنقه ! :

وكأنما كان الرعب يملأ قلوب الطليان من البطل حتى بعد وفاته ، فبمجرد أن أتموا الشنق نقلوه إلى مقبرة « الصابري » في سيدي عبيد ، بناحية « بنغازي » ، فدفنوا جسده الطاهر في قبر عظيم العمق ، بنوه بالأسمت المسلح ، وحرصوا على إجراء عملية

الدفن سرّاً ، كما أخفوا معالم القبر حتى لا يعثر عليه ، وأقاموا عليه جنداً يحرسونه زمنّاً طويلاً ، خوفاً من أن ينقل مواطنوه جثمانه الطاهر .

احتجاج إسلامي :

وقد احتجت جميع الأمم الإسلامية على هذا التصرف المعيب من ناحية الطليان ، فهو لا يتفق مع التقاليد الدولية ، ولقد قام قبل السيد عمر المختار زعماء في مصر والجزائر والمراكش وقفوا ضد المستعمرين ولكنهم سبوا وسلبوا ، وقبضه أعدائهم عاملوهم متاملة الأبطال ، وكانوا عندهم في مكانة رفيعة .

والفرق في المعاملة يرجع إلى الفرق بين إنجلترا وفرنسا وبين إيطاليا ، فإن إنجلترا وفرنسا تقدّران الرجال حق قدرهم ، وتعترفان للبطولة احترامها ، أما الطليان فلا يراعون للرجل حرمة ، إذا وقف ضدهم .

جزع العالم العربي ! :

وقد جزع العالم العربي لفقد هذا المجاهد العظيم ، الذي أفنى نفسه في قتال الطليان ، وأقيمت في كل الأقطار العربية والإسلامية مآتم لإحياء ذكره ، ونظم الشعراء القصائد في تأيينه ، وفي الدعوة إلى اتباعه ، وصليت عليه صلاة الغائب في جامع بني أمية ، ودعا الخطباء إلى مقاطعة البضائع الإيطالية ، وأغلقت الحوانيت ، وألف الناس مظاهرات طافوا بها شوارع المدن احتجاجاً على قتل السيد عمر المختار ، الذي تربطهم به جنسية العروبة ، وأخوة الإسلام ، والذي بفقده ماتت حركة دامت اثنين وعشرين عاماً ، كان يرجى من ورائها تحرير أمة إسلامية ، وشعب من شعوب العروبة الصادقة .
عظيمة في الحياة ، وعظيمة في الممات يا عمر المختار ، عشت قاتلاً لأعداء الله والوطن والإنسانية ، ومت مقتولاً بيد أعداء الله والوطن والإنسانية .

فريد حتى في موته ! :

حتى الموت .. يموت الناس مرة وأنت تموت مرتين ! لماذا ؟ لأن الله يريد أن يرفعك بذلك مرتين ، ويعطيك على ذلك أجرين : أجر الشهيد الذي عاين الموت وذاقه ، ثم أجر الشهيد مرة ثانية ، الذي أراد أعداؤه أن يقتلوه مرة ثانية .
وتلك علامات القبول يا سيدي عمر المختار ، وذلك أول تاج من تيجان الآخرة ، يضعه ربك على جبينك وقد تنبأ لك يا سيدي بذلك رسول الله ﷺ حيث يقول

« ما من أحد من أهل الجنة يسره أن يرجع إلى الدنيا غير الشهيد ، فإنه يحب أن يرجع إلى الدنيا ، يقول : حتى أقتل عشر مرات في سبيل الله ، مما يرى ما أعطاه الله من الكرامة »^(١).

وقد قتلت مرتين يا سيدى ، ولولا أن سنة الله لا تتغير لقتلوك عشر مرات في سبيل الله .

وموت الناس يا سيدى سرّاً ، وجرت عاداتهم أن ينفلسوا أحكام الإعدام بعيداً عن أعين الناس ، ولكن الله لم يرض لك ذلك ، وأراد أن يرفع لك ذكرك ، فأوحى إلى الطليان أن يجمعوا الآلاف لتحشد ساعة التنفيذ .. وشهدوا جميعاً ، ورأوا جميعاً .. شهدوا عظمتك ، ورأوا بلاءك .

وكان أعظم ما راعهم أنك تدخل إلى الموت ثابتاً ، ولسانك لا ينفك يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله » ، ترددها يا سيدى وأنت تسير إلى المشنقة ، ثم تكثر من ترددها وأنت ترتفع إلى الجبل .. في تلك اللحظة لم تكن مع الناس ، وإنما كنت مع الله .

كان الناس يرون منك الجسد ، وكنت أنت ترى بداية الملأ الأعلى ... حتى إذا تم لهم ما يريدون ، وانتهى الأجل المحتوم فشعشت روحك العالية ، ورفرفت إلى حبيبها وخالقها وهى تردد وتردد « أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله » . فسلام عليك يوم ولدت ، ويوم استشهدت ، ويوم تبعث حياً .

عندما نحلا الجو للإيطاليين ! :

وقد احتل الإيطاليون بعد استشهاد الجبل الأخضر ، ونفذوا سياستهم الجديدة في ليبيا ، التى تقوم على تحويلها إلى وطن إيطالى ، ومحو كل أثر للإسلام والعروبة فيها ، وإبادة البقية الباقية من سكانها العرب ، فلا يبقى فيها صوت يرتفع بمعارضة أو مقاومة . وظل هذا شأنهم حتى أعلنت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م ، فكان إعلانها فاتحة تبدل جديد فى السياسة الدولية ، انتهى بطرد إيطاليا من ليبيا ، ومحو كل أثر للإيطاليين فيها ، وقيام دولة عربية مستقلة تتولى شئونه ، هى دولة ليبيا الحاضرة . الجماهيرية الليبية .

(١) ورد فى مسلم بنحوه الحديث [١٠٩] كتاب الأمانة (باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى) .

سبب استمرار قتال عمر المختار



لماذا واصل القتال ؟ :

نذكر الآن قليلاً من البلاء وطرق العذاب الذى صبه الإيطاليون على ليبيا ، وذلك منذ نزلوها عام ١٩١١ م حتى رحلوا عنها مهزومين مقهورين عام ١٩٤٣ م ، وذلك ليعلم الناس جميعاً لماذا كان عمر المختار يقاتل ويقاوم ، ويستبسل فى قتاله وجهاده . فقد كان يعلم هو والمجاهدون معه أن العار والذل والعذاب ، وكل أنواع الإهانة فى انتظارهم إذا استسلموا ، فكان لابد لهم من القتال حتى الموت .

فى ١٢ من أكتوبر عام ١٩١١ م فى ناحية المنشية قتل الطليان من الأهالى عدداً يتراوح بين ٤٠٠٠ و ٧٠٠٠ نسمة ، ومثلوا بالكثيرين ، وهاكوا أعراض النساء ، وأمعنوا فى التنكيل بهؤلاء الأهالى ، فنفوا حوالى تسعمائة منهم ، وألقوا فى السجون أعداداً عظيمة من الرجال والنساء .

فى ٢٦ من أكتوبر عام ١٩١١ م أشعلوا الحرائق فى أحد الأحياء الواقعة خلف بنك روما فى طرابلس . بعد أن ذبحوا أكثر سكان هذا الحى الذى التهمته النيران ، وفتكوا بالنساء والأطفال والشيوخ والعجزة .

فى ٢٧ من أكتوبر عام ١٩١١ م أعدموا حوالى خمسين نسمة بين نساء وأطفال رمية بالرصاص ، فى ثكنة فرسانهم فى مدينة طرابلس .

عرض مستمر لأساليب القمع والإذلال ! :

وظل الطليان يرتكبون هذه الفظائع فى الأعوام التالية ، فاستمروا يشنقون ويعدمون الأهالى الذين بقوا فى المدن والقرى والنواجع ، ولم ينضموا إلى جيش المجاهدين ، ثم يلقون من نجا منهم فى السجون ، وينفون جماعة أخرى إلى إيطاليا وصقلية ، كما أنهم ظلوا يهاكمون أعراض النساء ، ويفتحون بطون الحوامل منهن ، ويصادرون أموال هذه البلاد ، ويغتصبون الأرض منهم .

محااربة المسلمين فى عقائدهم :

ثم امتد طغيان الطليان إلى محااربة المسلمين فى عقائدهم ، فدمروا مسجد سيدى عزيز فى الفاتح من غير سبب حرى .. وأمعنوا فى إهانة الدين الإسلامى ، فمنعوا الأهالى من إقامة شعائرههم ، وصار جندهم يدخلون المساجد وهم سكارى احتقاراً للمسلمين ، وتعطيلاً لعبادتهم ، ومنعوا الحج بحجة انتشار الوباء فى الحجاز . ثم زاد امتنانهم للدين الإسلامى فى المدة الباقية بدرجة شنيعة ، فكان من أسوأ أفعالهم أن ألقى قائد طبرق الإيطالى المصحف الشريف على الأرض ، ثم أخذ يطؤه بقدمه على مشهد من الأهالى وهو يقول : « إنكم معشر المسلمين لا يمكن أن تصيروا بشراً مادام هذا الكتاب بين أيديكم » ، ثم اتخذوا من الأضرحة والمساجد اصطبلات لدوابهم وحيولهم .

تسخير العرب فى بناء القلاع :

ومنذ عام ١٩١٣ م بدعوا يسخرون العرب فى بناء القلاع ، وتعبيد الطرق ، وغير ذلك من الأعمال الشاقة وغدت فظائع الطليان وخصوصاً بين عامى ١٩١٤ و ١٩٢١ متسلسلة الحوادث ، متشابهة الوقائع ، فلم يفتروا لحظة واحدة عن التقتيل والتعذيب ، والنكاية بالعرب ، والضغط على حرياتهم ، والعبث بأرواحهم ، واغتصاب أملاكهم ، ونهب أموالهم ، وإحراق بيوتهم ، وسبى نسائهم ، وتيتيم أطفالهم وتنصيرهم .

نشاط المبشرين وإرغام النساء على التنصّر :

ونشط المبشرون الطليان فى دعوتهم ، وعمدت الحكومة إلى إرغام النساء على التنصّر ، والزواج من الطليان ... ثم أخذ المبشرون يعملون للقضاء على الأخلاق الإسلامية ، ونشر روح الكاثوليكية بين الأطفال فى المدارس ، والقضاء على معارف أهل البلاد والتعليم الدينى .

القضاء على كل نشاط :

ثم أخذوا يمتنون الصناعة والتجارة ، ويزاحمون الأهالى حتى فى أدنى الحرف . ثم منعوا الناس من التنظيم ، وقيدوا حريتهم فمنعواهم من محادثة بعضهم بعضاً ، ومن قراءة الصحف والمجلات والكتب الأدبية ، ومن مراسلة أقاربهم فى الخارج ، حتى صاروا فى شبه سجن داخل بلادهم ، محرومين من كل صلة تربطهم بالعالم العربى خصوصاً . وقد أنى صحفى إنجليزى رافق الحملة الإيطالية البقاء معها ، لأنه رأى جيشاً لا

هم له - على حد قوله - إلا ارتكاب جرائم القتل ، لأن ما كان يراه من المذابح ، وترك النساء العرب مع أولادهن يتعرضن للموت في الطرق العامة جعله يكتب للجنرال « كانيغا » قائد الجيش كتاباً شديد اللهجة قال فيه : إنه يرفض البقاء مع جيش لا يمكن أن يعتبره جيشاً بالمعنى المعروف ، وإنما مجرد عصابة من قطاع الطرق والقتل .

ولو أنصف الصحفي المذكور لسأهم حثالة من صعاليك الطليان ، دفعهم الجوع والفقر إلى الانتظام في هيئة جيش ، وألقوا بمجشهم على شعب آمن مسالم يعتدون عليه بأبشع الجرائم تحت ستار الاستعمار .. والاستعمار هو الاستعمار ، مهما وضعوا له من أسماء ، ولفقوا له من دعايات جوفاء .

وفي أكتوبر عام ١٩٢٢ م جاء موسولينى زعيماً على إيطاليا ، فكان بداية عهد أسود في ليبيا ، تضاءلت إلى جواره كل الفظائع التي ارتكبت من قبل وتلاشت .

أحلام :

لقد كان الفاشيست يملكون بإعادة الإمبراطورية الرومانية القديمة ، لذلك قرروا امتلاك البلدان العربية القائمة على شواطئ البحر الأبيض ، ثم إفناء أهل هذه البلاد ، وتحويلها إلى رقعة لاتينية ... وتلك لعمري وقاحة ما بعدها وقاحة ، أن يعمل شعب على إفناء عدة شعوب ليحل محلها بالقوة !! ولكن هذا هو منطق الطليان !

استهتار :

ويبلغ من استهتارهم أنهم ألزموا خطباء الجمعة بالدعاء على المنابر لملك إيطاليا عمانويل الثالث ، وعندئذ امتنع الناس عن صلاة الجمعة ، وقد هاج الرأي العام الإسلامى على هذا الفعل ، فاستكتبوا الأئمة تكذيباً بتوقعاتهم قالوا فيه : إن الدعاء كان بمحض إرادتهم ، ومن تلقاء أنفسهم ، ومن غير تدخل من جانب الحكومة الفاشيستية ... فهل رأيت وقاحة أبلغ من هذه ؟

وفي عهد « بادوليو » صاروا يمنعون الناس من أداء فريضة الحج ، ويضعون العقبات أمامهم - ي مجبروهم على تركها .

وفي سنة ١٩٢٩ م جمع الجنرال « جرازيانى » جميع مشايخ السنوسية وأئمة المساجد والمؤذنين والفقهاء وخدم المساجد وسجنهم جميعاً في مركز « بنينة » ، وكان بناء قديماً

لا سقف له ، ذاقوا فيه مر العذاب جوعاً وعطشاً ، ثم نقلوا إلى سجون إيطاليا ، وبعد أن مكثوا بها مدة أعيدوا إلى « بئينة » فهلك كثيرون جوعاً وتعباً ومرضاً .

أساليب الإفناء :

وعندما اشتدت مقاومة المجاهدين ، وأدرك الطليان أنه لا سبيل إلى التغلب على العرب إلا باتباع أساليب الإفناء فكان القضاء على اللغة العربية ، لغة الدين ودعامة قومية العرب ، وكان العمل على تنصير العرب وإضعاف الدين والاخلاق من الوسائل التي تذرعوها بها لتحقيق هذه الغاية ، فأغلقوا الكتاتيب ودور العلم الوطنية ، وأنشئوا بدلاً منها مدارس إيطالية .

ثم أكثروا من إقامة دور الفحش والدعارة ، وأرغموا المسلمين على اعتناق الكاثوليكية ، وبذلوا في هذا الأمر جهوداً جبارة ، واستقدموا لذلك جيشاً من المبشرين ، وأنفقوا أموالاً طائلة ، وأنشئوا كثيراً من الكنائس في طول البلاد وعرضها ، التي تكاد لا يوجد بها مسيحي واحد !!

سفالة ووقاحة ! :

ثم كان أقبح ما فعله المارشال « بادوليو » أنه أمر بأن ترصف الصالة في قصره بالبلاط منقوشاً عليه « محمد ﷺ » ... فبأى وصف توصف هذه الفعلة يا دعاة الاستعمار ؟

ثم حاولوا طمس اللغة العربية نهائياً ، حتى أنهم صاروا يمنعون وصول الخطابات إلى أصحابها مادام عنوانها مكتوباً بغير اللغة الإيطالية .

وفي عام ١٩٢٣ م قتلوا من أهالي « جفارة » وغيرها عند احتلالها ما يزيد على ألف رجل ، وذلك بأن حبسوه على القتل حتى قتلوا أمام نسائهم وأطفالهم . وكان من أبشع ما فعلوا أنهم أتوا بعشر سيدات من أهل جفارة ، فجردوهن من ثيابهن ، وشنقوهن عاريات ، وأبقوهن سبعة أيام معلقات على هذه الحالة ...

وهذا يدل على منتهى الجبن والنذالة والخسة وما شئت من أوصاف السوء !!! ثم ما لبثوا أن أحرقوا عدة قرى بمن فيها .

وفي عام ١٩٢٨ م حدث حادثان أليمان :

الأول : أن ثلاثة من ضباطهم طلبوا ثلاث عربيات للاستمتاع بهن ، فتمكنوا من

اغتنصاب اثنتين ، وأما الثالثة فقد فرّ بها أبوها ، ونجت من وحشيتهم .
والثاني : أنهم ألقوا جماعة من طيارة ، من علو ٤٠٠ متر ، من « جردوس العبيد »
بالجبل الأخضر . وأقبح من ذلك أنهم ربطوا الشيخ « مفتاح العبيدي » وابن عمه
« صالح علي » بين سيارتين ، ثم دفعوهما إلى اتجاهين مختلفين ، ففقطعت أجسامهما قطعاً
قطعاً ، وذلك أمام قبيلتهما المستسلمة القاطنة بجوار المعسكر الفاشيستي في « تاكس » .
ثم تفتق ذهن الجنرال « جوازياني » عن اختراع « المحكمة الطائرة » ، وكانت هذه
المحكمة تنتقل بالطائرة إلى مكان أى حادث ، وتعقد جلساتها في الهواء الطلق في الميادين
العامة ، سواء في المدن أو في النجوع ، وكانت لإجراءات المحكمة والتنفيذ تتم بسرعة
عظيمة ، ولا يسمح للمتهمين بالدفاع عن أنفسهم ولا تفحص الحكومة شهادة
الشهود ، بل يكفي مجرد الاتهام لاستصدار الحكم بالإعدام على المتهمين .

ونذكر قصة إحدى محاكمات هذه المحكمة الشيطانية لتعرف إلى أى مدى بلغ إجرام
الطليان : جيء بالمتهمة الأربعة أمام المحكمة ، التي تألفت من رئيس وبعض الضباط
الطليان ، وبدأ القاضي بسؤال أكبر المتهمين سناً ، طالباً منه الاعتراف بإعطاء الخبز
والطباق للمجاهدين ، وعندما صمت المتهم ولم يرد صرخ القاضي في وجهه ، وشكّه
أحد الشرطة في ظهره ، فأجاب المتهم بالإيجاب ، وعندئذ قال القاضي : « حسناً ،
يكفى هذا ! المتهم الثاني » .

وفي أقل من لحظة كان القاضي قد حصل من المتهم الثاني على إجابة تشبه إجابة
الأول ، فنجى جانباً . ولما كان المتهم الثالث أصم أبكم فقد ترك دون سؤال .
ثم جاء دور المتهم الرابع ، وهو أصغر المتهمين سناً ، وتبدو عليه النجاسة ، فأعاد
القاضي نفس السؤال ، وطلب منه الاعتراف بجرمه ، ولكنه رفض أن يفعل ذلك ،
ثم قال : إن المجاهدين ولا شك كانوا يأخذون أغنامنا إذا رفضنا إعطاءهم الخبز والطباق ،
وليس لدينا ما ندافع به عن أنفسنا ، فكيف نستطيع إذن أن نمنعهم .. فلما قال القاضي :
« كان في وسعك أن تطلب (الكوربيرى) من (درنة) أجب : « إن القرآن الكريم
يمنع تسليم المسلمين للمسيحيين » .. فلم يهتم القاضي بهذا الدفاع ، وأصدر حكمه على
الفور بإعدام ثلاثة منهم ، بإطلاق الرصاص عليهم من وراء ظهورهم ، وأطلق سراح
الأبكم الأصم .

وعندئذ وضعت الأغلال في أيدي الرجال الثلاثة ، وأركبوا سيارة كبيرة سارت
بهم في الطريق المؤدى إلى السجن ، ولكن لم يلبث أن انقطع صوت محركها فجأة ،

فغطى المكان سكون عميق ، وبعد خمس دقائق فقط دوى فى الفضاء صوت أعيرة نارية كثيرة ، أطلقت جميعها فى وقت واحد ، ثم أعقبها طلق نارى منفصل ، فلما سُئِلَ عن السبب أجاب عربى : « لقد تعودنا يا سيدى سماع ذلك ، لأن هؤلاء التعساء لا يموتون سريعاَ عندما يطلق الرصاص على ظهورهم من الخلف ، ولذلك يتقدم أحد الضباط للإجهاز على كل من تبقى فيه حياة بإطلاق رصاصة على رأسه » .

فضائح وفظائع ١ .

ومن الفظائع التى ارتكبها جرازيانى -عشده العرب فى معسكرات الاعتقال ، بدعوى أنهم يتصلون بالمجاهدين ، فقد حشد ثمانين ألف نسمة فى معسكرات الموت المحاطة بالأسلاك الشائكة ، وذلك بهاد أن أرغمهم على ترك دورهم وأملأهم ، وأخرجهم بالقوة إلى الأماكن التى يريدونها ، وكان يهددهم إما بالموت وإما بالخروج فوراً ، وكان معدل الأموات من الأطفال يبلغ ٩٠ ٪ ، وأمراض العيون التى ينتهى أكثرها بالعمى كثيرة جداً ومنتشرة ، ويكاد لا ينجو أحد من الأمراض .. وقد فعل ذلك دون أن يراعى حالة هؤلاء البدو الروحية ، أو يلاحظ تأثير مثل هذا القيد والحصار فيهم . وفى أثناء هذا الاعتقال أنزل جرازيانى وأعوانه بزعمائهم وشيوخهم صنوف الإهانات البالغة ، فرموا بهم فى أعماق السجون ، وقتلوا من وجهائهم رجلاً يدعى الشيخ « سعيد البرقاوى » مع خمسة عشر شيخاً شر قتلة .

فليات نبيكم محمد البدوى لينقدكم ! هكذا كان الإيطاليون يقولون :

ذلك بأن ألقوا بهم جميعاً من الطيارات من علو شاهق على مشهد من أهلهم ، فكان كلما هوى شخص صفق الضباط والجنود ساخرين منادين : « فليات نبيكم محمد البدوى الذى أغراكم بالجهاد ، وينقذكم من أيدينا » !! . بسبب أساليب الإبادة هذه بلغ مجموع ما قتل الطليان بهم ٥٧٠٩٢٨ نسمة من سكان طرابلس وبرقة .

وفى يناير ١٩٣١ م دخل الطليان الكفرة ، ولم يجدوا فيها سوى الشيوخ والنساء والأطفال ، فاستباحوا قرى هذه الواحة ثلاثة أيام بطولها ، ارتكبوا خلالها مالا تتصور العقول من نهب وسلب وتشنيع ، وسبى نساء ، وذبح شيوخ وأطفال ، وإحراق دور ومزارع ، وانتهاك حرمة المساجد ، ودوس المصاحف .

جرائم ارتكبتها الإيطاليون :

وقد وصف أحد الذين شهدوا معركة « الكفرة » فظائع الطليان فقال : « ودخلوا « الكفرة » التي لم يبق فيها إلا الشيوخ والعجزة والنساء والأطفال ، وانتشروا فيها وفي قرية « التاج » مستبيحين كل حرمة ، ونهبوا الأموال ، وذبحوا الشيوخ والأطفال ذبح الجراف ، وفتكوا بالنساء فتكاً أثر في النفوس ، وبقروا بطون الخوامل ، وكان نصيب الكثيرات من النساء الموت الفظيع لدفاعهن عن أعراضهن ، وبالجملة فقد هتكوا أعراض سبعين عائلة من عائلات السادة الأشراف ، وجعلوا من الجوامع محارقات شربوا فيها الخمر ، وكانوا يجبرون النساء المسلمات اللاتي أحضروهن للفحش على شرب الخمر ، أو الموت شر ميتة ، ونثروا جميع المصاحف والكتب الشرعية في زاوية « التاج » ، وداسوها ، وألقوها في الاصطبلات تحت حوافر الخيل والبغال .. » .

الأمير شكيب أرسلان يروي قصة الاعتداء على الأعراض العربية ١

ويروي الأمير شكيب أرسلان قصة هذه الفعلة الشنيعة فيقول : « وكان نحو من مائتي امرأة من نساء الأشراف قد فررن إلى الصحراء قبل وصول الجيش الإيطالي ، فأرسلوا قوة في أثرهن ، فتأثروهن حتى قبضوا عليهن ، وسحبوهن إلى « الكفرة » ، حيث خلاهن ضباط الجيش الطلياني واغتصبوهن ، وهكذا أنزلوا المعرات بسبعين أسرة شريفة من أشراف « الكفرة » ، الذين كانت الشمس تقريباً لا ترى وجوه نسائهم من الصون والعفاف » .

قصة إعتدائهم على المساجد والمصاحف ١ :

وفي مكان آخر يقول الأمير : « إن الإيطاليين قلبوا زاوية السادة السنوسية في الكفرة إلى دار فسق وسكر ، وداسوا المصاحف الشريفة بالأرجل ، وعندما كانوا يطبخون طعامهم كانوا يوقدون المصاحف تحت القدور » .

وفي أثناء هذا النضال استحق المارشال جرازياي لقب « الوباء » أو « الطاعون » ، ذلك بأنه ظل شهوراً طويلة يعدم حوالى ثلاثين نسمة يومياً ، وأما العرب الذين كانوا يحاولون الفرار فقد كان نصيبهم أن يلقوا من الطائرات حتى يتحطموا على الصخور . ويقول جرازياي : « إن الفرد الواحد من العدو إذا حصل على العفو عنه ، والصفح عن فعالة فإنه يصبح بذلك أشد خطراً على الحكومة من ألف من الأعداء السافرين » .

وفي عام ١٩٣٤ انتهى عهد جرازاني بمجرد انتهاء المقاومة وإخمادها ، فأرسل بدلاً منه ماريشال الجور « إيتالو بالبو » حاكماً .

تنفيذ الشطر الثاني من برنامج الإبادة ١ :

وقد وقع على كاهل « إيتالو بالبو » تنفيذ الشطر الثاني من برنامج إبادة الليبيين وإفنائهم ، ونعنى بذلك اغتصاب الأرض منهم ، وإعطائها للمستعمرين الطليان ، وترك أصحاب الأرض الحقيقيين وأبناء البلاد يتلون جوعاً ، هائمين على وجوههم في الشوارع ، وإذا شاءوا البقاء على قيد الحياة يخدمون هؤلاء المستعمرين خدماً وعبيداً لهم هذه أمثلة من فظائع الإيطاليين ، وهي وغيرها دفعت الشهيد عمر المختار إلى الإصرار على الاستمرار في قتالهم ، وذلك حتى يظهر بلاده منهم ، ويخلصها من شرورهم .

ولكن شاء القدر أن يستشهد قبل أن يرى ثمرة جهاده التي تتمتع بها الأجيال من بعده .

وهكذا غرس الأجداد ، وجاهد الآباء ، وحصد الأبناء ، فواجب عليهم أن ينحنوا لإجلالاً وتعظيماً لهؤلاء الأبطال الخالدين .



العبرة من حياة عمر المختار



ليس عمر المختار أول من جاهد ، ولا هو أول من استشهد ، وإنما هو أحد أولئك الأبطال القلائل الذين كانوا يواصلون القتال رغم اليأس من نتيجة المعركة . فهو بلغة الجيش « رجل إنتحارى » لا يتخلى عن واجبه حتى آخر لحظة من حياته .

وهو بلغة الإسلام من أولئك الذين صدق فيهم قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [آل عمران : ١٧٣]

وذلك هو مفتاح شخصية هذا الرجل الفذ ... لقد آمن بالله ، واستقرت معاني الإيمان في قلبه ، فأصبح لا يرى إلا الله ، ولا يخشى إلا الله ... وهذا النوع من الناس هو أقوى من عرفت ومن ستعرف البشرية من الرجال ، وهو الإنسان الحر في أعلى مراتب الحرية ، وفي أشمل معانيها .

لقد حرر قلبه من الأوهام ، ومن الشرك ، ومن الضلال ، ومن الشهوات ، ومن أطماع الدنيا ، ومن مباحجها ومغرياتها ، ومن كل ظلمة تحجب نور الحقيقة ... فإذا تم له ذلك كان قلبه نوراً خالصاً صافياً لا شائبة فيه ... وأصبح دائم المراقبة لله تعالى ، دائم الشهود له في كل شيء يراه ويمس بأياته وعظمته ..

وهو من هنا شديد الخوف من الله تعالى ، لأنه يعلم أنه سبحانه شديد العقاب .. وشعور الخشية هذا يحجزه عن كل معصية مخافة من الله تعالى ، واتقاء لغضبه وعذابه .. عندئذ يجده الله أهلاً لحبه واصطفائه فيتجلى عليه بالتجليات الربانية ، وينزل في قلبه سكينته لو جمعت الدنيا بأسرها لتزلزله ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

لذلك كان عمر المختار راسخاً كالجبل الأشم ، تحاول الإمبراطورية الإيطالية بمجموعها أن ترحزحه فترتد عنه ، وهي خاسئة ذليلة لم تنل منه شيئاً .

كان يوقن أن أمثال « جرازياي » وجيوشه إنما هم ذباب ساقه الله ليختبر به إيمانه وإيمان من معه ، فكان يقاتل الطليان وهو في قرارة ذاته يحتقرهم ، ويراهم ليسوا على شيء مهما حاولوا أن يتجسحوا في مظاهرهم .. ولا توجد في العالم فدائية أعلى ولا أقوى من فدائية الإيمان بالله تعالى ، وقد كانت تتمثل في عمر المختار في أنهج وأسمى معانيها ..

فالفريد في سيرته أنه أحيا شيئاً كاد يندثر ، أحيا معالي الإيمان التي كان الناس قد بدءوا ينصرفون عنها .

وحياة الشهيد عمر المختار مملوءة بالعبر التي نذكر منها :

١ - إنه رجل ذاق مرارة اليتيم في صغره ، فكان هذا أول الخير في قلب البطل ، لأنه يتيم منكسر ، والقلب المنكسر يشعر بآلام الناس ، فإذا صادف مثل هذا القلب الإيمان ، ودخله حب الله وتغلغل فيه ، تحول إلى قلب رحيم نوراني ، يلجأ إلى الله القوى المتين في كل أمره ، ويحنو على الضعفاء والمساكين دائماً ، ويقف بجوار المظلومين يدفع عنهم شر الظلم ، وينصرهم على أعدائهم .

٢ - إن الرجل كان موهوباً بفطرته ، أعطته الأقدار موهبة الحكم والفصل بين الناس ، والقدرة على الإدارة الحازمة .

٣ - إنه بنيان أسس على التقوى ، أصله ثابت وفرعه في السماء ، فهو شجرة طيبة تؤتي أكلها في كل حين ، فقد عاش مباركاً في حياته ، مباركاً في مماته .

٤ - إنه كان داعياً إلى الله بأذنه ، تربي على أيدي دعاة السنوسية ، فلما اكتمل وترعرع أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة ، وبشر وأنذر ، وخبركم من تعلم القرآن وعلمه .

٥ - إنه كان على فهم صحيح لدينه ، يأخذه كلاً لا يتجزأ ، فلا هو بالمتدين المحترف ، ولا هو بالمتدين البعيد عن جوهر الدين ، وإنما هو رجل مؤمن يعلم أن الإسلام لا يصلح أن يؤخذ بعضه ويترك بعضه ، وإنما لا يصلح المرء أن يكون مؤمناً حتى يعمل به كله .

٦ - إنه كان شاباً دائماً ، حاراً دائماً ، يتدفق النور والحرارة من قلبه رغم شيخوخته ، وتلك طبيعة المقاتلين في سبيل الله ، الذين يخشون الله ولا يخشون أحداً من عباده ، وإنك تعجب حين تعلم أنه عين قائداً عاماً وهو فوق الستين عاماً ، واستشهد وهو في نحو السبعين عاماً ، وما ذلك إلا لأنه رجل يقاتل ،

ويجب أن يقاتل ، ومثل ذلك الشعور يجعله شاباً دائماً الشباب وإن تقدمت به السنون .

٧ - إن الله لا يضيع أجر المجاهدين ، ولا إيمان المؤمنين إذا علم منهم صدق النية ، وحسن الطوية ، فهاهم أولاء أهل ليبيا ، جاهدوا وجاهدوا طويلاً ، ثم انتصرت إيطاليا عليهم نهائياً في عام ١٩٣١ م ، ومكنت صاحبة السلطان المطلق في ليبيا حتى عام ١٩٤٢ م .

وظلت ليبيا أحد عشر عاماً كلها يأس مطلق ، ولا أمل فيها يبشر بالنصر ، ثم أراد الله أن يحقق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، فجاء بالحرب العالمية الثانية ، وجعلها سبباً في نصر أولئك المظلومين فانتصروا ، واستعادوا بلادهم مرة أخرى ، وعادوا إلى أوطانهم التي ترعرعوا فيها ، بعد أن خرجوا منها ظمأً وعدواناً ، وهذا مثال حي للأهم والأفراد ..

٨ - إن الظالم الباغي منهزم لا محالة في النهاية ، وإن انتصر في البداية وظن أن لن يقدر عليه أحد ... وذلك أن الله خير الماكرين ، وأن مكر الله فوق مكر الظالمين ، يرمى الله الحق بأهل الباطل ، ويرمى أهل الباطل بأهل الحق ليعجز الخبيث من الطيب ، ثم تدوم المعركة فينتصر أهل الباطل ، فيفترون بذلك النصر ، ويزدادون غروراً ، وتمضي الأيام وتمضي حتى يكاد أهل الباطل أن ينسوا ما هم فيه وما ينتظرهم ، هنالك .. وبغته ، يحقق الله الحق ويبطل الباطل .

٩ - إن الشهداء وحدهم هم الذين لا يموتون ، وكل الناس يموتون ... وليس ذلك برأى من عندي ، وإنما هو رأى القرآن حيث يقول : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] فالشهداء أعقل الناس حقاً ، لأنهم اختاروا أسهل ميتة ، وسارعوا إلى حياة خالدة ، أرق وأفضل .

١٠ - إن عمر المختار لم يسع للشهرة ، لأن المخلصين لا يبحثون عنها ، وإنما الشهرة هي التي تبحث عنهم ، ولكن العبرة من سيرته أن كل من أخلص وجاهد وعمل المصالحات ابتغاء رضوان الله تكفل الله برفع ذكره في الدنيا ، ورفع درجته في الجنة في الآخرة .

١١ - إن عمر المختار كان ولياً من أولياء الله تعالى - ولا نزكى على الله أحداً - ، وقد صدقت فيه إشارة الحديث القدسي القائل : « من آذى لي ولياً فقد آذنته

- بالحرب ، ، وقد صدق الله وعده ، ودمر إيطاليا كلها ، وفعل بها الأفاعيل ،
ونكل بقادتها شر نكال ، جزاء ما فعلوه مع عمر المختار .
- ١٢ - إن قوة الإرادة وقوة العزيمة ، واستمرار الصبر والمثابرة من وسائل أصحاب الرأى
الحر ، والفكر المستنير المستقل فى تحقيق أهدافهم .
- ١٣ - إن الله يعطى كل إنسان قوة على حسب نيته ، ويمده بمدد من عنده متى كان
متمسكاً بدينه ، صادقاً مع الله صادقاً مع نفسه ، صادقاً مع الناس ، صادقاً
مع وطنه صاحب الفضل عليه .
- ١٤ - إن النفس المؤمنة تستهين بكل ما فى الدنيا ، وتبتغى دائماً رضاء الله تعالى ،
فلا يغريها مال ، ولا يخدعها منصب ولا جاه ؛ لأنها تعتقد أن كل ما فوق
التراب تراب .
- ١٥ - إن من علامات العظماء المؤمنين الخالدين أن الناس يشعرون دائماً أنهم لم يوفوهم
حقهم من التقدير مهما كتبوا عن سيرتهم وتاريخهم وشخصيتهم ، وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء .



بعد استشهاده



من يخلفه ١٩ :

كان مع السيد عمر المختار رجال من رؤساء القبائل يديرون معه شئون القتال وأمور المجاهدين ، وفي مقدمة هؤلاء الشيخ « يوسف بورحيل المسماري » والشيخ « عبد الحميد العبار » .

وقد اجتمع رؤساء الجند وأعيان المجاهدين بعد موت السيد عمر المختار ، وتشاوروا في من يخلفه في الزعامة ، فاتفقت كلمتهم على أن يخلفه في زعامته الشيخ « يوسف بورحيل المسماري » .

وقد قبل الشيخ يوسف ما كلف به ، ونهض لتكميل ذلك البناء الذي أسس قواعده السيد عمر المختار ، والتف حوله أولئك الأشبال الذين كانوا يلتفون معه بالسيد عمر المختار .

تجدد القتال بقيادة الشيخ يوسف بورحيل :

ورأى العدو أن ردم قناة المجاهدين بعد موت السيد عمر أصبح ميسوراً له ، فضاعف قوته ، ووالى هجماته بكل ما عنده من أنواع السلاح ، ودافع المجاهدون عن أنفسهم دفاع المستميت ، وانقضت أربعة أشهر بعد موت السيد عمر ، ولم ينقطع فيها القتال يوماً واحداً .

سوء حالة المجاهدين الصحية ١ :

ولكن انضم إلى قوة الطليان قوة أخرى لا تمكن مقاومتها ، تلك هي قوة الجوع ، فإن سد المسالك على المجاهدين ، وقطع الصلة بينهم وبين جميع الدالم أثر فيهم تأثيراً سيئاً من جهة الجوع ، فكنت ترى الرجل واقفاً أو ماشياً ، ثم لا يلبث أن تعثره دوخة

من شدة الجوع وإذا به ملقى على الأرض ، فلم تمض أربعة أشهر على قتل السيد عمر حتى اشتدت بهم المجاعة ، وعجزوا عن الدفاع .

يأس وتفريق :

فقرر من بقى منهم الالتجاء إلى مصر ، فسار الشيخ عبد الحميد العيار ، والشيخ يوسف بورحيل ، وعثمان أفندى الشامى فى نفر من المجاهدين من ناحية الجنوب ، وذهب كثير من المجاهدين من ناحية الشمال ، ووجهة الجميع الحدود المصرية ، وبعد ثلاثة أيام فارقتهم عثمان أفندى الشامى بقصد الاستسلام للطلليان ، فسلم نفسه فى « عين الغزالة » يوم ٦ من شعبان عام ١٣٥٠ هـ ، وبقي كثير من المجاهدين بالجبل الأخضر آيسين من حياتهم ، ومنتظرين الموت إما بالجوع أو برصاص العدو .

وقد بلغ الطليان أن رؤساء المجاهدين غادروا الجبل إلى الحدود المصرية ، ولم يتحققوا هذا الخبر إلا فى أول يوم من شعبان سنة ١٣٥٠ هـ ، إذ تمكنوا من أسر محمد خير الله رئيس فرقة العبيد وهو متجه إلى مصر ، فعلموا منه صدق الخبر ، فحشدوا قوة كبيرة على الحدود المصرية ، ممتدة مع الأسلاك الشائكة ، وبين كل جندى وآخر مائتا متر ، ومعهما عدد كبير من السيارات المدرعة ، وظلوا يترصدون قدوم المجاهدين إلى ليلة ٤ منه .

وفى هذه الليلة وصل قسم من المجاهدين إلى الحدود ، من بينهم الشيخ يوسف بورحيل ، فاعترضهم الإيطاليون وحصلت بين الفريقين معركة ، وحاول المجاهدون أثناءها اجتياز الأسلاك الشائكة ، ولكن كثرة الجنود الإيطالية حالت دون ذلك ، فاضطر الشيخ عبد الحميد العيار إلى الرجوع ناحية الجبل فى نفر من المجاهدين ، وبقي الشيخ يوسف بورحيل منتظراً غفلة الحرس الإيطالى ليجتاز الحدود .

ولكنه عثر عليه يوم ٩ من شعبان عام ١٣٥٠ هـ فى أربعة من أصحابه ، فتركوا خيولهم وتحصنوا بمغارة ، ودافعوا عن أنفسهم حتى قتلوا أربعهم عليهم رحمة الله . وقد أعجب الإيطاليون ببسالة الشيخ يوسف بورحيل فقالوا فى بلاغهم ما نصه : « وقد أظهر يوسف بورحيل ورفقائه الثلاثة بسالة مدهشة حتى آخر دقيقة من حياتهم ، وعندما سكت البارود من جهة المغارة تقدم نحوها التنتى بويندزى فوجد فيها أربع جثث ، لم تزل البنادق حامية فى قبضة اليد . وهكذا انتهت حياة الرئيس العظيم البرقاوى ، أحد تلاميذ مدرسة جغيبوب القرآنية ، ومستشار عمر المختار » .

وهذه شهادة من الطليان بشهادة الشيخ يوسف بورحيل ، وحسن بلائه فهم إلى آخر لحظة من حياته .

أما الشيخ عبد الحميد العبار فقد عاد مرة ثانية إلى الحدود في نفر نحو الخمسين رجلاً ، واجتاز بهم الأسلاك الشائكة ، ودخلوا الحدود المصرية في منتصف شهر شعبان سنة ١٣٥٠ هـ ، لا بواسطة وضع الخيام على الأسلاك الشائكة كما يقول البلاغ الإيطالي ، ولكن بواسطة مقصات كانت معهم معدة لقطع الأسلاك ، ولكن البلاغ الإيطالي أخفى هذه الحقيقة ، وخاف كاتبه أن يذكر أن لدى المجاهدين مقصات فيظن أن لديهم مدافع وبنادق ومترليوزات من أحدث طراز من السلاح الإيطالي ، وهو مما غنم المجاهدون في ميادين القتال ، فتسوّه هذه الذكرى المؤلمة .





فرق بين نهايتين

اطمأنت الامبراطورية الإيطالية إلى سلطانها ، وخضعت لها الأقطار الليبية من أقصاها إلى أقصاها ، وذلك بعد استشهاد عمر المختار عام ١٩٣١ ، وحتى عام ١٩٤٢ م .

عاشت ليبيا أحد عشر عاماً من اليأس المطلق الذى لا يشر بأى أمل ، مفرقة الأهل ، مفزعة الوجدان ، دامية الماضى ، مظلمة الحاضر ، حالكة المستقبل .
أمير البلاد الشرعى السيد محمد إدريس المهدى السنوسى فى مهجره فى مصر ، وأهل الحل والعقد الليبيون بعيدون عن البلاد ، ونصف الشعب أو يزيد أهلكوا ، أو أخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً ، والبقية الباقية مستضعفة فى بلادها ، لا حول لها ولا قوة .

وه جرازيانى « يفتخر كبراً ، ويختال على أرض ليبيا بمنة ويسرة حيث شاء ، لا ضمير يؤنبه ، ولا مجاهد يهدده ، ولا شعب يتوعده .
ثم جاء بعده الماريشال العجوز « بالبو » ، ليم قصة إفناء الشعب الليبى ، ويسلم أرض الليبيين إلى رقاع الطليان ، لا حياء يمنعه ، ولا خوف يردعه ، ولا ضمير يوقظه ، ولا سلاح يوقفه .

ليل هنا وليل هناك ، ويأس هنا ويأس هناك ... وبلغ الطليان أعلى مراتب العزة ، وبلغ الليبيون أسفل مراتب الذلة .

شمس الحرية تشرق على ليبيا من جديد ! :

حينئذ ، عندما يشتد الضيق ، ويبلغ اليأس أقصى مداه فى النفوس ، يأتى الفرج ، فينزل النصر ، وينتقم القدر ، ويحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .
وكانت قصة النصر الذى أنزله الله على شعب ليبيا المكافح قصة غريبة ، يجب

على الناس جميعاً أن يعلموها ؛ ليطمئنوا إلى عدل الله المنتقم الجبار .

وهذه هي القصة :

بدأت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر عام ١٩٣٩ م ، وحرصت إيطاليا أول الأمر على عدم دخولها فيها ، حتى إذا رأت فرنسا تنهار على أثر الزحف الألماني الخاطف عليها أعلنت إيطاليا الحرب على إنجلترا وفرنسا في ١٠ من يونيو عام ١٩٤٠ م .
وهذه أولى خطوات القدر الذي رسم حطته نحوها ، وبدأت بداية نهاية الامبراطورية الإيطالية .

خيبة ظن إيطاليا :

دخلت إيطاليا الحرب بقيادة زعيمها موسوليني طمعاً في الغنائم ، وكانت توقن أن الأرض قد خضعت لحليفها ألمانيا ، فأخلف الله ظنها ، وأحاطها بتدبير محكم أدى إلى زوالها نهائياً من الوجود ، كإمبراطورية صاحبة مستعمرات ، بل كدولة لها كرامة وعزة ، وأصبحت ذيل لا وزن له في السياسة الدولية .

جزاء الله العادل :

واندحرت إيطاليا باندحار ألمانيا في شمال إفريقية ، ففي السابع من فبراير عام ١٩٤٣ م كانت جيوش روميل الألمانية المنهزمة قد أخلت القطر الطرابلسي بأجمعه .
وكانت فرحة عظيمة شاملة ، عمت القلوب ، وشرحت الصدور ، وعبر عنها أمير البلاد بقوله : « إلى أحمد الله الذي جعلني أشهد خروج هؤلاء الطليان الظالمين من بلادنا » .

وتدفق الليبيون إلى بلادهم التي ترعرعوا فيها ، ونشئوا بين أحضانها ، ثم أخرجوا منها ظلماً وزوراً .. ثم عاد الأمير إلى بلاده منصوراً ، وجلس على عرشها ملكاً عزيزاً .
وأصبحت البلاد حرة تدير شئونها بنفسها ، وتقرر ما تشاء وفق مصلحتها ، وترسم مستقبلها حسب ما تتمناه ، من رقي وحضارة ، وتقدم في مجالات الحياة المختلفة .
وهكذا استدار الزمان ، وانتقم الديان ، ونزل العار بالطليان الذين أرادوا إبادة الليبيين فأبيدواهم ، ورجعوا بالفشل والخسران ، وبقيت ليبيا لليبيين عزيزة مكرمة ، مرفوعة الرأس ، شائخة البنيان .

لقد أعدم « جرازياي » عمر المختار ، فكان لإعدامه نذيراً له ولمن عاونوه ، وذبح

جرازياتي ولم يعد له ذكر ، وبقي عمر المختار علماً للأحرار ، ورمزاً للنضال ، وقصة يتحدث بها الزمان ، وقدوة للأبناء ، فاحتل مكانة الزعامة حياً وميتاً ...
وستظل ذكره ترددها الأيام والأجيال رغم أنف الطليان ... وهذا هو شأن الأبطال المؤمنين الخالدين .

﴿ ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾

كلمات تقدير لعمر المختار

١ - لقد صدق الله سبحانه وتعالى حين قال :
﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾
[الأنفال : ٧ - ٨]

٢ - وصدق الله سبحانه وتعالى حين قال :
﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ [الإسراء : ٨١]

٣ - وقد رثاه شاعر الشباب التونسي السيد محمود أبو رقية فقال :
مضى عمرُ المختارِ لله رافلاً بثوبِ نقى حيك من خالص الطهر
مضى عمرُ المختارِ لله بعد ما قضى الواجب الأسمى بأعلى ذرى الفخر
مضى عمرُ المختارِ لله هائلاً سيداً شهيداً وانطوت صفحة العمر
مخلفة للعالمين ماثراً هي الغرر البيضاء في جبهة الدهر
ومن دمه المسفوك سطر آية سيحفظها التاريخ بالحمد والشكر

٤ - وقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقي فقال :
يأيتها السيف المجرد بالطلا يكسو السيوف عنى الزمان مضاء
تلك الصحارى غمد كل مهند أبلى فأحسن في العدو بلاء

الأسكندرية

الجمعة : ١٧ من شعبان عام ١٤١٢ هـ
الموافق ٢١ من فبراير عام ١٩٩٢ م

ثبت المراجع

- | | |
|----------------------------------|------------------------|
| ١ - الدولة العربية الكبرى | للأستاذ محمود كامل |
| ٢ - ثورات العرب في القرن العشرين | للأستاذ أمين سعيد |
| ٣ - عمر المختار | للأستاذ محمود شلبي |
| ٤ - عمر المختار | للأستاذ محمد الشراباتي |
| ٥ - عمر المختار | للأستاذ أحمد محمود |

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
مولده ونشأته	٧
توحيد الصفوف ضد إيطاليا	٩
إخلاصه وكرم أصله	١٠
محاربته الفرنسيين	١١
محاربته الإيطاليين	١٣
تسلمه قيادة المجاهدين	١٧
إقامة السيد إدريس السيد عمر المختار مقامه عند سفره إلى القاهرة	٢١
تعيين عمر المختار قائداً أعلى	٢٣
استثنائه المعارك ضد الإيطاليين	٢٦
اشتباكه ومحاولات للإيطاليين	٢٨
مفاوضاته مع الإيطاليين	٣١
عمر يفضل الموت جوعاً	٣٤
عمر يرفض الإغراء	٣٤
نداء	٣٥
عمر المختار قائد القوات الوطنية	٣٨
أقوى سلاح استعملته إيطاليا	٣٩
مهاجمته قوات الاستطلاع	٤٠
المجاهدون يدعون من جديد	٤١
محاصرة المجاهدين بالأسلاك الشائكة	٤٢
معاركه حتى انتهاء المقاومة	٤٣
أسر عمر المختار	٤٦
سبب وقوعه في الأسر	٤٧
حواره مع جرازاني	٤٨

٤٨	حوار بين الجبان والأسد
٥١	عمر المختار هو عمر المختار حتى النهاية
٥٣	محاكمته
٥٦	إعدامه
٥٩	سبب استمرار قتال عمر المختار
٦٧	العبرة من حياة عمر المختار
٧١	بعد استشهاده
٧٤	فرق بين نهايتين
٧٦	كلمات تقدير لعمر المختار

وكلاء النوزج

السعودية

مكتبة الساعي

الرياض : ت ٤٣٥٢٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة : ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥
ص.ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

كنوز الحرف

جدة ت ٦٥١-٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب : ٣٠٧٤٦ - جدة ٢١٤٨٧

ت

دار الحرف

40 شارع فيكتور ميكو - الدار البيضاء
ص.ب : 4150 ☎ 300567 - 309520

المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - زفتة الامام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643

الإارات

دار القصيدة

دبي - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحر

دار الحكمة

ص.ب : ٢٣٨٧٥١ هاتف ٣٢٦-٣٢

الأهرام AL-AHRAM